
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
Twitter @ketab_n
27.9.2011
رانيا السعد
هَوَس
رواية

هَوَس

رواية

رانيا السعد

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

هــذه الرواية من نسج الخيال وأي
تشابه بينـها وبين شخصيات حقيقية
هو من قبيل المصادفة المحضة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

1432 هـ - 2011 م

ردمك 978-614-01-0294-1

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص. ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

لتنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (9611+)

إهداء

إلى فوزي القصّار

شريك حياتي

وأكثر

1

أصحو باكراً على صراخ أختي الكبرى سناء المعتاد تدخل بيت أهلي الذي لازلت أسكنه فأنا البنت الصغرى من ثلاث بنات اثنتان منهن تزوجتا.

- لا أريد هذا الزوج! خلصّوني منه، الحياة معه لا تطاق، هذا اللا شيء يتطاول عليّ أنا ابنة حامد السوسي، بل ويخونني مع الساقطة أخت مؤيد زوج أختي نهاد الساذجة المغفلة التي لا تعي ما يدور حولها.

ترد والدتي ببرود من يشاهد مسلسلاً تلفزيونياً وبنبرة جمود وتعالٍ:

- الخسارة له ما أن تتركيه حتى (يخيس حلجه).

أقف طويلاً عند جملة أمي الأخيرة، يبدو أنها تعاني من متلازمة دراكولا تلك الحالة التي نسمع عنها حين يعض مصاص الدماء أحدهم فيتحول هو بدوره إلى مصاص دماء.

جملة (يخيس حلجك) تعني بالعامية الكويتية أن لا تجد ما تأكل ومن طول الصيام القسري يتصاعد بَخَر الصوم من فمك، تشبيه كريه يحمل من القسوة الكثير، هل قلت قسوة؟ نعم هذه أبرز سمات المحيط الذي ترعرعت فيه وهي المحرك الرئيسي لما قمت به من حماقات في حياتي البائسة.

في السادسة من عمري سمعت أبـــي يعيّر أمي:

- يا بنت حمود الحافي، والله لولا أنني تزوجتك لخاس حلجك!

ففكرت هل كان جدي حمود لا يملك ثمن شراء فرشاة ومعجون أســـنان لأمي! تعاطفت مع أمي ورأفت بحالها وأسئلة تدور في رأسي: لمـــاذا لا ترد عليه وتوقفه عند حده؟ لماذا يتلذذ بإهانتها؟ هل يكرهها؟ لماذا تزوجها؟ لماذا تزوجته؟ مسكينة أمي.

حـــين كبرت لم يعفني والدي من أن أسمع هذه الجملة يقذفها في وجه والدتي بمناسبة وبدون مناسبة حين نكون وحدنا أو بوجود أزواج أخـــواتي وبعـــض أفـــراد العائلة، تسمع أمي هذه الجملة بتبلد مريب وتنسحب لترتدي أبهى فساتينها الفاخرة ومجوهراتها الثمينة، تنادي على ســـائقها الخاص وتركب سيارة الرولز رويس التي خصصها لها أبـــي لتتماشى مع وضعه المزعوم.

مـــسكينة أمـــي كم تعيش ذلاً مستتراً تغطيه بالألماس والسيارة الفارهة، ولكن هل تمسح تلك الماديات جرح قلبها الغائر؟ أم تراها بلا إحساس؟

يخرج أبـــي من غرفته على صوت صراخ سناء فيشتمها كعادته ثم يحل الإشكال بطريقة لا تخطر ببال إنسان سوي:

- ســـأبعث لـــزوجك العفن كرتون ويسكي، أظن هذا كفيلاً بـــتعديل أوضـــاعه إلى حـــين، جـــون- ينادي على العامل المنـــــزلي- اذهب إلى المخزن وأحضر كرتون ويسكي ريد ليـــبل وأرسله مع محمد السائق إلى بيت سيدتك سناء، توقفي عن الصراخ يا معتوهة، تغدي اليوم عندنا إلى أن يعود زوجك المخبول إلى البيت ويجد الكرتون وعندها سيأتي لمراضاتك، أنا أعرفه هذا الحقير.

- ماذا عن علاقته الغرامية بأخت مؤيد زوج أختي؟
- طالما لم يتزوجها لا أظن أن الموضوع يستحق منا أي اهتمام.

مـــا هو الأمر الذي يستحق الاهتمام في هذه العائلة؟ سؤال طالما أرقــني، كيف لي أن أحظى باهتمام أب مشغول بجمع أموال يقال إنها غير نظيفة؟ وأم منهمكة في إثبات أنها لم تعد ابنة حمود الحافي؟ حتى أنها حرصـــت على تزويج أخواتها من رجال ميسورين فقط لتشطب لقب الحافي الذي ألصقه والدي بجدي الطيب.

أمـــي لم تحرص على تزويج أخواتي من رجال ميسوري الحال بل زوجتهم لأول طارق باب بأدنى حد من المواصفات، هل لأن حظنا من الجمـــال كان متواضعاً؟ أم أن سمعة أبـــي كرجل شرس وبذئ اللسان عـــاملين طاردين للنصيب؟ أم لأنها أرادت بعقلها الباطن أن ترفع شأن أخـــواتها على حساب بناتها لترد اعتبار أبيها حمود؟ أم أن القدر لعب لعبته؟

يردد أبـــي بعنجهية جوفاء:

- أنـــا أقـــتني لبناتي الثلاث سيارات غالية الثمن ليعرف من يود خطبـــتهن بـــأنهن بنات عز ومن لا يستطيع تحمل مصاريفهن فليبتعد ويبحث عن بنت تناسبه.

هـــذا الكلام بالإضافة إلى كوننا متواضعات الجمال وبشخصيات لم تخدمها ظروف البيئة والتربية جعلنا غير مرغوبات.

- أين أنتِ يا أم المصائب؟ تقولها وضحكتها المجلجلة تسبقها.

هذا صوت أختي نهاد تنادي سناء يبدو أنها استدعتها لتناقشها في أمـــر أخت زوجها، تدخل نهاد وهي تضحك وكأن الوضع مزحة، من أيـــن أتت نهاد بكل هذا التبلد؟ بالتأكيد من والدتي إلا أنها أكثر فكاهة بلا شك، تبدو لي سعيدة دوماً كالمحششين، أو تراها منهم؟

- نهاد، أمسكي أخت زوجك عن عارف فلقد طفح بي الكيل.
- لماذا لا تمسكي أنت زوجك عن أخت زوجي يا شقيقتي الكبرى؟
- كيف أمسكه! من (...) مثلاً؟!
- قهقهت، فكرة لا بأس بها.

يا الله بدأ مسلسل البذاءة، كم تمنيت لو عشت في بيت طبيعي يشبه بيت صديقتي لمياء البازي حيث الاحترام من البديهيات وهناك حد أدنى للألفاظ المسموح باستخدامها.

والد لمياء هو جاسم البازي، مثقف مناضل يكفي أن يذكر أحدهم اسمه حتى يقف الجميع على أطراف أصابعهم احتراماً، ووالدها من عائلة عريقة ثرية تدعم هذا الزوج في نضاله وترسخ قيماً ثابتةً كأعمدة لبيتها المحترم، تظلل أبناءها بالمحبة وتغذيهم بتقدير الذات.

بيتنا لا تحكمه أية قواعد، للكل الحق في التزحلق على طين الشتائم والوقاحة وكأن هذا جزء من الحياة، حتى الأخطاء مقبولة بلا قاع وكثيراً ما يتم تصليحها بخطأ أكبر أو خطيئة.

نهاد المرحة لدرجة الاستهبال، وقعت يوماً فريسة لشاب مستهتر، ووقوعها لم يكن مفاجأة فلا أحد يرعاها أو يتابعها، وحريتنا اللا محدودة انعكاس لإهمال مبطن لوالدين يظنان أن المال كفيل بحل المصاعب وسد كافة احتياجات البشر.

أذكر جيداً اليوم المشئوم الذي اعترفت فيه نهاد لأمي بأنها أخطأت ذلك الخطأ غير القابل للإصلاح مع ذلك الشاب، سناء تعدّت على نهاد بالضرب، صفعتها صفعة على خدها الأيسر لازلت أسمع دويها في أذني، أما أمي فقالت لها بحزم:

- سيتزوجك ورجله فوق رقبته هذا المنحط.

أبـــي ما أن عرف بالموضوع حتى شتم أمي وقال:

- هذه نتيجة تربيتك يا بنت الحافي؟

بالمناسبة عائلة أمي هي المؤذن وليست الحافي إلا أن أبـــي يسعى دوماً لتحقيرها. سألتني امرأة وأنا في الثامنة من عمري:

- ما اسم والدتك يا صغيرتي؟

فأجبت بعفوية:

- نورة الحافي.

ينتمي الشاب المستهتر لعائلة والدتي ولكنه ليس قريباً من الدرجة الأولى، اســـتدعاه والدي هو ووالده وما أن حضرا حتى امتطى والدي صهوة وقاحته وقال:

- يـــا لك من ولد طموح تعرف أنني لن أزوجك ابنتي فاخترت هذه الطريقة الدنيئة لأقبل بك نسيبا لي أنا حامد السوسي أيها الـــسافل، سأقبل أن أزوجك هاد لأنها تريدك لا لشيء آخر ولكن حاذر أن تسيء معاملة بنت العز.

استشاط والد الشاب غضباً وقال:

- لا يـــشرفنا نسبك فمعدنك رخيص وإن غطيته بالذهب أين أنت من صيت والدك العالم الوقور؟ صدق من قال إن النار ما تخلف إلا الرماد! أنا لن أقبل أن يتزوج ابني من فتاة سهلة تبـــيع المتع دون أدنى رادع ولن أقبل أن أضع يدي في يد رجل بأخلاقك، المخفر موجود، توجه وسجل ضد ابني قضية هـــتك عـــرض أو اغتصاب أو ما تراه مناسباً بحكم خبرتك وليعـــرف الجمـــيع قصة ابنتك وعندها سيتزوجون في المخفر المكان اللائق بكم.

يـــومها أفـــرط أبـــــي في الـــشرب لدرجة أنه تقيأ على كنبة Roche-Bobois روش بوبـــواه التي اشترتها أمي للتو، صفق الأبواب ومـــلأ صراخه البيت، ذهب لغرفة نهاد ليضربها بردة فعل متأخرة بينما هـــي أغلقت الباب بالمفتاح وتركته يطرق الباب بعنف دون فائدة حتى خـــارت قـــواه ونام عند باب غرفتها، نتيجة لإفراطه في الشراب تبول على نفسه وامتلأ جناحنا نحن البنات برائحة نتنة مقرفة في حين تشبّعت غرفة المعيشة برائحة القيء، في ذلك اليوم عبرت رائحة بيتنا عن بواطن حياتنا ونفسياتنا، فقط في ذلك اليوم.

حـــين أفكر بوالد ذلك الشاب لا أملك إلا أن أحترمه فلقد أنقذ ابـــنه من براثن عائلتنا ودخل التاريخ كأحد القلة الذين وقفوا في وجه رعونة أبـــي.

- "السلام عليكم" تعالى صوت مؤيد زوج أختي.

دخـــل لينضم للمولد الذي بدأ منذ الصباح وها نحن عند الظهيرة ولا أعرف ما ستؤول إليه الأمور.

- الله لا يسلمك أجابت سناء.

ضحكت نهاد وقالت:

- أنـــت الـــيوم متهم ووضعك مهزوز لأن أختك على علاقة بعارف.

- أي عارف؟ تساءل ببلاهة.

- عارف زوجي أيها الذكي.

- أي أخت؟ فلدي ثلاث، سأل باستهبال.

- سوسن العقربة، المطلقة التي تبحث عن رجل.

تـــساءلت في نفـــسي هل تبحث المطلقة فعلاً عن رجل؟ أم أنها أساســـاً تكون في حالة عزوف عن الرجال بسبب خذلان أحدهم لها؟

هـــل يعـــالج رجل جرح الرجل الآخر على سبيل دية يدفعها عن أبناء جنـــسه؟ لمـــاذا يظل الرجل هو مُعالج جروح المرأة؟ لم أكن أعرف أن الأيام ستجعلني أختبر الإجابة.

- ما الدليل؟ تساءل.
- لا أريد أن أخوض بتفاصيل، أمسك أختك والسلام.
- من حقي أن أعرف.
- سافر معها إلى البحرين.
- وكيف عرفتِ ذلك؟
- إدّعى أنه في رحلة عمل وكنت ألمح الكذب في عينيه.
- وما شأن سوسن هل كانت هناك؟ وإن كانت فلديها صديقة بحرينية درست معها في جامعة الكويت وهي تزورها بين حين وحين ما هذا الافتراء يا سناء؟
- سافرا على الطائرة ذاتها.
- وكيف عرفتِ يا شارلوك هولمز؟
- تأكـــدت مـــن صديقة تعمل في الخطوط الجوية الكويتية ذهبا علـــى الطائرة ذاتها وعادا على متن الطائرة نفسها بعد يومين من العسل الأسود، سود الله وجهيهما ووجهك.
- صدفة.
- صدفة ملعونة، أنا أعرف أختك جيداً.
- هل يكفي هذا الحدث لاتهامهما وتخريب بيتك؟
- مـــن قال إني سأخرب بيتي؟ أنا سأخرب بيت أختك والذي خلفها.
- والدي متوفى لذا فالموت خرب بيت والدتي أما أختي فمطلقة وبيـــتها خـــرب لـــذا وفري جهودك، واعلمي أنه إن سمعت

سوســن كلامك ستقسم أن تتزوج عارف نكاية فيك، أختي وأعرفها استفزازها لا يجدي نفعاً بالمطلق.

- سأريها نجوم الظهر.
- والله افعلي ما بدا لك فلقد حذرتك بأن مواجهتها ومواجهته بعلاقتهما ستعني زواجاً سريعاً يشعل قلبك حرائق وفي النهاية أنتِ أدرى بمصلحتك.
- وأبــناء عارف من أختك سيكونون إخوان أبناء أختي وأبناء عمــة أولادي ضــحكت نهاد كيف سأفسر الرابط للأولاد؟ همهمت.

مــن نافــذة غرفة المعيشة رأى مؤيد جون يحمل كرتوناً ملفوفاً بــورق صحف ويضعه في صندوق السيارة، ذلك الكرتون الذي يعرفه جيداً فتساءل:

- لمن الغنائم؟
- لعارف أجابت نهاد، رشوة من أبــي أكثر الله خيره علّه يعدل عــن أختك! فأنتم عائلة ما وراها إلا كراتين المرقدوش طاح حظكم، وتعالت ضحكاتها.
- وأنتم عائلة تضبِّط بناتها بكراتين الويسكي رد مؤيد، ألا تذكرين كــيف تزوجنا يا بقرتي الحبيبة؟ عزمني عمي حامد على العشاء وأكثــرت مــن الشرب وأهداني الكرتون إياه فسال لعابــي لأنــي بالكــاد أملك حق زجاجة واحدة، وفي آخر السهرة ســألني لماذا لا تتزوج يا مؤيد؟ لا أعرف بماذا أجبته ولكنني أذكــر أنني صحوت الصبح على صداع رهيب ونبأ خطوبتنا الكئــيب يا بقرتي التي تدر ويسكي، كم أنا عطشان وأود أن أبل ريقي، قومي حضري لي كأساً من بار أبيك العامر.

وضـــربها علـــى مؤخرهما بلا حياء أمامنا نحن أخواتها، لم يشعر بوجودي أحد وأنا أراقب بصمت إلى أن التفت إلي مؤيد وقال:

- عقـــبال ما يتم تضبيطك بكرتون يا سلوى... غدوتِ عروسة مـــاذا ينتظـــر أبوكِ؟ ليبحث عن مغفل مثلي يضحي في سبيل الويـــسكي بكـــل أحلامه، سيواجه مشكلة في إيجاد شخص بطول يتناسب وطولك السخيف، أقترح أن يعقد قرانك على عمود الإنارة المقابل لمنـــزلكم.

مـــؤيد يمـــزح في كل الأوقات، ولقد شجعته بيئة منـــزلنا على الـــتمادي كمـــا أن تبلد نهاد المزوج بمرح غير مفسر جعله يستسهل الإساءات بشرط عدم حضور أبـــي.

خرجت والدتي من جناحها ورمقت مؤيد بتلك النظرة التي تعني تعال وقبِّل رأسي، تراكض مهللا:

- هلا عمتي هلا

قبل رأسها أما نهاد فاكتفت بالسلام من بعيد:

- كـــيف حالـــك يـــا أمـــي؟ قالتها دون اكتراث لأن تسمع الإجابة.

جـــزء من جمود عائلتنا أننا لا نمارس أي نوع من أنواع التلامس الحنون لا نقبّل بعضنا ولا يحتضن أحدنا الآخر، كنت أستغرب من بيت لمـــياء حـــيث أنه بدخول والدهم البيت يقف الجميع ويقبلونه كما أنه يحضنهم واحداً تلو الآخر بحنان غامر، ويطبع قبلة على خد زوجته، أما والـــدهما فكانت تحرص على تقبيلي أربع قبلات حين أزورها، في بيتنا القـــبلات تكـــون في العيد وبأوتوماتيكية، تضع لمياء أحياناً رأسها في حـــضن أخـــتها مُـــنى لتمسح على شعرها بعطف بينما تثرثران حول يومهما الدراسي.

الكـــلام الـــرقيق سمعته في بيت لمياء صديقتي حيث تنادي والدها والدها "حبيبـــي" رغم كل سنوات الزواج كما أنهما يجلسان يشاهدان الـــتلفاز وأياديهمــــا متشابكة، لكل من الأبناء اسم دلع، فلمياء "لولو" ومـــنى "مـــناتا" ومحمد "مودي" أما والدها شيخة فكان والدها يناديها "شيختي".

سمعـــت هناك كلمات تقطر عذوبة فحين ينادي الوالد على الابن محمـــد يجـــيب: سَـــمْ، سألت لمياء ماذا تعني (سَمْ) لماذا لا يرد مثلنا بـــ (ها) أو (نعم) قالت إنها كلمة أكثر احتراماً ومصدرها قل باسم الله وأمرني بما تشاء.

والدها تقول:

- أبوكم وهو سالم غير موجود!!

سألت لمياء:

- ما دخل سالم بالموضوع؟ أبوك اسمه جاسم.

تضحك وتقول:

- أن أمي تتمنى لأبـــي السلامة، فتقول و(هو سالم) أي أن عدم وجوده ليس لشر.

ياه، ما هذا التعقيد أقول في نفسي.

حـــين تطلب الأم من أحد أبنائها شيئاً يأتيها الجواب (حاضر من عيني)، الرديف في بيتنا لكلمة (انـــزين) والتي تعني حسناً على مضض.

بيت لمياء فتح عيني في سن مبكرة على أن هناك خللاً عظيماً إما في منـــزلنا أو منـــزلهم.

2

نادي اليخوت الذي لعب دوراً مدمراً في صباي هو مكان تجمع واستعراض لمحدثي النعمة، حيث التحرر الاجتماعي وليس الفكري جزء مـــن قشور تمدن يدعيه بعض مرتادي النادي، فرغم أن البلد محافظ إلا أن مايوهات البكيني في النادي منظر مقبول ودارج.

حـــين أرتـــدي البكيني لأغطس في مسبح النادي وأنا في السابعة عـــشر مـــن العمر كنت أشعر بحرج، فأنا طويلة ونحيلة ويبدو جسمي كجسم صبـــي على وشك البلوغ تمددت عظامه بطريقة غير متناسقة ولكني كنت أعوّل على بشرتي البيضاء والتي تعتبر في ذلك الزمن صفة مرغوبة قبل أن تظهر جنيفر لوبيز والفاتنات اللاتينيات بلونهن القمحي الذهبـــي ويقذفن البيضاوات على قارعة الطريق مما أفلسني من الصفة المرغوبة الوحيدة التي منحني إياها الله.

أنا أطول أخواتي وصديقاتي وقريباتي وأبـــي يكرر على مسامعي دوماً: "الطول طول نخلة والعقل عقل سخلة"

عظامي البارزة وطولي الملفت ليستا مشكلتيّ الوحيدتين بل إن الشعر الذي يغزو جسمي هو ما يؤرقني إلا أن أجواء بيتنا الساخرة جعلتني أتعامل مع الموضوع بحس الدعابة فكلما عيرني أحدهم بشعر ساقي أجبت:

- أرأيـــت؟ أنـــا أرجل منك، مطلقة ضحكة كتلك التي تطلقها أختي نهاد.

ريجينا، مربيتنا الهندية هي مصدر الحنو الأوحد في منـــزلنا، حملت على عاتقها عملية تنظيفي بشكل دوري، تغلق علي وعليها باب الحمام وتفـــرش الأرض بالـــصحف وتجعلني أجلس أرضاً وأمد ساقيّ، تفرد حلاوتها الـــتي تصنعها منـــزلياً من السكر والماء والليمون على ساقيّ المشعرتين وتنتزعها بقوة فتتوالى صرخاتي وما أن تفرغ من سيقاني حتى تتولى ذراعيّ وباقي مناطق جسمي، كنت لا أسمح لها إطلاقاً بأن تنتزع الـــشعر مـــن ظهري وبطني رغم توسلاتها وبعد جلسة العذاب تفرك جسدي بالليمون والملح الخشن.

ومـــع كل جهود ريجينا الطيبة يظل ملمسي ملمس جلد دجاجة منـــزوعة الريش بحبوب بارزة مكان منابت الشعر.

أختلس النظر إلى ساقي لمياء اللامعتين فأجدهما حريريتين.

تسألني لمياء:

- لماذا تطيلين النظر لساقي؟

أنتبه وأقول:

- كنت سرحانة لا أكثر.

أدّعـــي أنـــني أريد أن أغلق أحد أزرار فستانها الخلفية لأطل على ظهرها وإذا به أملس خال تماماً من الشعر. في مراهقتي عرفت أن شعر البطن والظهر لدى النساء أمر غير دارج تماماً كالشتائم في منـــزلنا.

يداي طويلتان تصلان إلى ما بعد ركبتي بقليل وهذا كما قال لي أحد شبان النادي:

- يـــبدو أنـــك لم تتطوري إنسانياً وبقيت أقرب للشامبانـــزي بـــذراعين تتدليان للركبتين ينقصك بعض الموز، قالها بقرف وأشاح بوجهه عني.

تقــرّب مني في نادي اليخوت بعض الشبان من على شاكلة مؤيد وعـــارف أزواج أخـــوتي ممن يريدون الارتقاء اقتصادياً على ظهر فتاة مهزوزة تدفع للحفلات والترفيه.

معاملـــتهم لي فيها استخفاف، يتحسس أحدهم مؤخرتي خلسة ويـــسخر مني ليضحك باقي الشبان، على الرغم من أنني أتكفّل بدفع مـــصاريف الحفـــلات الـــتي نقيمها في صالة النادي من فرقة موسيقية وأطعمة والأهم كرتون من كراتين الوالد.

أنـــا لا أحـــسن الـــرقص فيداي متخشبتان لا تجيدان التغنج وتـــوقفت محاولاتي لتعلم الرقص بسبب نكات الشبان والفتيات من شلة أصدقاء النادي، وبعد أن امتنعت تماماً عن الرقص أصبح الحَوَلْ الطفـــيف في عـــيني هـــو مثار التهكم، يقول لي أحدهم وهو يرفع إصبعين أمام وجهي:

– كم إصبعاً ترين يا سلوى؟ فيضج المكان بالقهقهة المفتعلة.

عيناي تشبهان عيني جرو صغير تثيران الشفقة والتعاطف أكثر من الـــرغبة في السخرية ولكن تباً لهؤلاء الصبية، وحاجباي اللذان يكونان رقـــم ثمانية معاً يوحيان بوجه على وشك البكاء ولقد استثمرت تلك الملامح التي تحمل مسكنة في مراحل لاحقة من عمري.

لمياء غير مسموح لها أن تذهب لنادي اليخوت فعلى الرغم من أن بيـــتهم تقدمـــي ومتحرر فكرياً وسياسياً إلا أنهم محافظون اجتماعياً، ولائحـــة ما لا يجوز طويلة مما يدفعني لإغاظتها لكونها مقيدة. بينما أنا أعـــيش حرة طليقة، أنقل لها ما يجري في نادي اليخوت ببهارات كثيرة لألمح بعض الحسرة في عينيها، كانت تلك طريقتي في الانتصار لنفسي من بيئتها الشديدة الخضرة.

عطلة نهاية الأسبوع في ذلك الزمن كانت الجمعة فقط وصلاة الجمعة لا يحضرها إلا قلة من كبار السن وبعض المنتمين للإخوان المسلمين الذين انتشروا في بلادي بعد أن فرّوا من بطش عبد الناصر في مصر كما سمعت خالي يقول يوماً.

الخميس هو يوم الحفلات ليلاً والجمعة نقضيه بالكامل في السباحة ولعب التنس والبولينغ وكرة الطائرة والسلة، كنت أجيد كل تلك الألعاب وأناطح الشباب بها مما رسخ لديهم بأنني أحدهم.

وحده عقاب يعاملني بلطف، عقاب شاب ظريف طويل بضخامة، وجنتاه متوردتان والابتسامة لا تفارق وجهه، في حمام السباحة يحمل الشباب الفتيات على أكتافهم ثم يرمونهن للوراء.

الظاهر أنها لعبة والباطن أنها فرصة لتلامس له مغزى، لم يعرض عليّ أي منهم أن يضعني على كتفه ويرميني في الهواء، أحدهم قال:

- إن رميتك قد تسقط طائرة من السماء لأنها ستصطدم بساقك الطويلة وضجوا بالضحك.

تقدم مني عقاب وبخفة وضعني على كتفه وساقاي تتدليان على صدره، يداي ممسكتان برأسه ذو الشعر الناعم الغزير، شعرت بمتعة لا أعرف مصدرها هل هي احتكاك جسدينا ببعض أم شهامته في رد اعتباري أم كلاهما معاً؟

صادف عيد ميلاد عقاب الأسبوع الذي تلا ذلك اليوم الذي رد فيه اعتباري، وبما أني لا أعرف غير المال وسيلة لتقدير الآخرين وتحقيرهم فلقد قررت أن أكافئه بساعة رولكس بسعر 500 دينار في زمن كان متوسط راتب رب الأسرة فيه لا يتعدى 400 دينار.

تطايرت عيون شلة الأصدقاء والصديقات، لمحت الحسد في عيون الشباب والغيرة في عيون الفتيات وسعدت، على طريقة والدي حين يهين الآخرين بالمال، لم أعر اهتماماً لعقاب الذي بدا مُحرجاً، فلقد فسرت ذلك الإحراج على أنه تمنّع.

تغيرت علاقتي بعقاب بعد الساعة فلقد أصبحت أكثر جرأة في مهاتفته في منزله، ترد عليّ والدته الطيبة:

- نعم عقاب موجود، من يتكلم؟

فأجيب:

- سلوى السوسي بطريقة تشبه طريقة أمي.

ولسان حالي يقول أنا التي أهديت ابنك الساعة الثمينة ألم ترينها تلمع في معصمه؟ رولكس يا أم عقاب، هل تراها لا تعرف أنها ساعة غالية؟

كان السائق يأخذني للنادي حيث لم أصل للسن القانوني لحيازة إجازة قيادة، ولكن بعد الساعة الرولكس أصبحت أطلب من عقاب أن يتولى توصيلي، أركب في سيارته الفيات القديمة بزهو وأتعمد أن أتركه ينتظرني عند الباب.

هل أحببت عقاب؟ لا أعرف، كل ما أعرفه أنني أحببت أن أكون على علاقة بشاب يعزز من شعوري بالأنوثة ويجعلني أقول لباقي فتيات النادي أنا مرغوبة مثلكن تماماً.

أذكر طعم القبلة الأولى التي بادرت أنا بها خلف سور ملاعب التنس في النادي، كانت لزجة وسريعة وجعلتني أتساءل: هل هذا هو التقبيل الذي نراه في الأفلام الرومانسية؟

عقاب ظل مستسلما لي، أنا المبادرة بكل شيء وهو يبدو كعصفور محاصر في قفص لا حول له ولا قوة.

علاقتــنا سارت وفق مزاجي وهذا منحني بعض السيطرة التي لم أمارسها من قبل، أهلي لم يهتموا بتلك العلاقة فعقاب بالنسبة لهم مجرد مــرافق لي لا أكثــر ولا أقــل، لم يسألني أحدهم عن سر علاقتي به وأبعادها لأنهم ببساطة لم يكترثوا.

أخفــيت تلــك العلاقــة عن لمياء لأوفر على نفسي عناء سماع محاضــراتها في الأدب والأخلاق ونتيجة لذلك فترت علاقتي بها، فتور العلاقــة أزاح عــن كاهلي هَمَّ المقارنات التي يجريها عقلي بين أسرتي وأسرتها.

هاتفت عقاب كعادتي فجاءني صوت والدته:

- عقاب سافر، راح يدرس بأميركا؟

أغلقــت السماعة بوجه الأم وأنا أشعر بالغضب فعلى الأقل كان يفترض أن يرد لي الساعة قبل أن يسافر دون أن يودعني.

لم يهمــني عقاب كل ما همني هو كيف لي أن أذهب للنادي من دونــه؟ وجــوده حــولي كان يعطيني نوعاً من الحماية الوهمية، هل سأتعرض للسخرية من جديد؟ بدأت العطلة الصيفية وبات سفر العائلة قريباً، لذا انقطعت عن النادي وبانقطاعي نسيت أمر عقاب.

3

دخلـــت جامعة الكويت مع لمياء التي استعدت علاقتي بها بعد أن رحـــل عقـــاب، اخترنا الكلية ذاتها، كلية التجارة والاقتصاد والعلوم الـــسياسية، لمياء اختارت تخصص اقتصاد متباهية بأن زعماء الدول في الغالـــب إما خريجو علوم سياسية أو اقتصاد، قالت هذا الكلام لأبـــي حين سألها عما تنوي دراسته فرد:

- اقنعي ابنتي المخبولة أن تحذو حذوك.

هـــذه الكلمـــة جعلت تخصصيْ الاقتصاد والعلوم السياسية ليسا ضمن خياراتي وعليه احترت ما بين إدارة أعمال أو محاسبة.

حين سمع أبـــي يوماً أنني أبحث هذين الخيارين قال:

- إدارة أعمال أفضل فماذا ستعملين بتخصص المحاسبة؟

اخترت المحاسبة بعد هذا الحوار.

نشأت لمياء في بيت قومي ذي اهتمامات سياسية، تتوسط صورة عـــبد الناصر مع أبيها قاعة استقبال الضيوف في منـــزلهم، لذا انخرطت مـــنذ اليوم الأول في العمل النقابـــي مع قائمة الوسط الديمقراطي التي تـــرفع شعار: ضد كافة أشكال التعصب والتمييز، بينما أنا أتساءل أي تعـــصب وأي تمييـــز هل نحن في أميركا الماضي حيث لم يكن يسمح للسود بارتياد مطاعم البيض كما تنقل لنا الأفلام!

لمـــياء المؤمنة بمبادئ الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية حاولت إقناعـــي بأفكار فرج فودة وبالعلمانية كمخرج، تتحدث بحماس عن كتـــبه (نكـــون أو لا نكون) و(حتى لا يكون كلاماً في الهواء). كلام الهـــواء أو الهراء لا يعنيني فالقراءة نشاط لا أطيقه ولكني أحببت فكرة الانتماء إلى مجموعة، فالأمر أشبه بتشجيع نادي رياضي وبما أن صديقتي قدساوية(*) فما المانع أن أكون معها.

الفريق الآخر العرباوي(**) هو الإخوان المسلمين وأنا ترعرعت في بـــيت يكره الدين والمتدينين، أذكر أن أبـــي قال لأحدهم حين أهداه مجلـــة المجتمع التي تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت:

- شكراً لا نحتاج ورق حمّام.

فوجـــئت في ثالث أسبوع لي في الجامعة بأن بادرني محمد البازي شقيق لمياء بالقول:

- ســـلوى، نحـــتاج طالبة من سنة أولى لتخوض معنا انتخابات جمعية المحاسبة هل تقبلين؟

- نعم. أجبت بفرح وكأنني مدعوة على حفل عيد ميلاد.

لم تفـــارق الابتسامة وجهي ذلك اليوم وأنا أتخيل اسمي مطبوعاً على ملصقات قائمة الوسط الديمقراطي، سأصبح ناشطة أو هكذا خيل إلي.

لم أعـــرف أي شيء لا عن مبادئ الوسط ولا عن غيفارا الذي ظننـــته مغني روك أند رول، ولا فودة كما أنني لم أدرك بأن انتخابات الجامعة لا تخلو من قذارة.

(*) نسبة إلى نادي القادسية الرياضي.

(**) نسبة إلى نادي العربي الرياضي.

قبل الانتخابات بيومين وبعد أن علّقت القوائم ملصقاتها التي تحمل أسماء مرشحيها بدأ تسريب أقاويل عن والدي وسمعته وأن الوسط الديمقراطي الذي ينادي بالعدالة والحرية والنزاهة يحوي ضمن أعضائه ابنة حامد السوسي الرجل الذي عليه ما عليه من مآخذ.

اجتمع تنسيق الوسط الديمقراطي في حينها وتبادلوا الاتهامات وتم الضغط على محمد البازي الذي اعتبروه مذنباً لمجرد التفكير في ضمي للقائمة، لم أفهم ما دخل أبي بالقائمة و لم أفهم دور جدي التاريخي الذي يعتقد البعض من منتسبي الوسط بأنه خذل بعض المناضلين عن غير قصد وقد يكون أدى إلى قتلهم وأنه فقيه السلطة.

السياسة فوق مستوى قدراتي و لم أنشأ مثل لمياء في بيت يتعاطاها كطبق يومي، لم يخطر لي ببال أن انتخابات الطلبة عمل سياسي، لم تؤثر بي الإشاعات والأقاويل ولكن نظرات النبذ من أغلب أعضاء الوسط جعلتني أسترجع ذلك الشعور البغيض الذي شعرت به في نادي اليخوت.

أين أنت يا عقاب لتصد عني كل هذه العيون الكارهة؟

لمياء انغمست في العمل النقابي لدرجة شغلتها عني كثيراً وتركتني فريسة الوحدة.

لم تنجح القائمة التي ضمتني في الحصول على مقاعد جمعية المحاسبة وتراشقوا اللوم الذي انتهى بتحميل محمد وزر اختياري الذي أثر على مصداقيتهم وساهم في إسقاطهم بعد أن كانوا قريبين من الفوز، مما ضاعف من شعوري بأني دخيلة ومعزولة.

مرّ الفصل الجامعي الأول ببطء ومع دخول فصل الشتاء الذي لا يزور بلادي إلا في ديسمبر تساقطت أمطار وأنا عائدة من الجامعة في طريقـــي إلى البـــيت، وعـــند منعطف داخلي في المنطقة فقدت ســـيطرتي علـــى المـــركبة فانقلـــبت مرتين واصطدمت بحاجز من الكونكريت.

شـــعرت بآلام شديدة وضيق في النفس، نـــزفت دون أن أتمكن من تحديد المصدر، وعيي يغيب ويعود أسمع أصوات رجال يتصايحون ثم يعم السكون فترة تطول أو تقصر لأسمع من يكلمني ولا أعي ما يقول فأغيب ثم أعود لأسمع صوت صفارة الإسعاف.

فكّرت في الموت دون أن أخشاه أبداً ما أرعبني أن موتي لن يعني أحداً.

صـــحوت في الـــيوم التالي فجراً لأجد نفسي راقدة على سرير بالمستشفي تلفني أربطة وإبرة المغذي معلقة في يدي، لم أشعر بألم ولكن بثقلٍ شديد في الرأس وضغطٍ في القفص الصدري.

أول وجـــه رأيـــته هو وجه مربيتي ريجينا التي تركوها تنام عندي دمعت عيناها وقبلتني وقالت بعربية مكسرة:

- أنتِي زين؟ أي هل أنت على ما يرام؟

هززت رأسي بالإيجاب وأغمضت عيني من جديد، رأيت عارف ومـــؤيد وشـــلة الـــنادي وشباب الوسط يتحلقون حولي ويضحكون هـــستيرية في حين يخفي عقاب وجهه وينسحب ويمضي أناديه فلا يرد عليّ، أركض خلفه فتلاحقني الضحكات الهازئة.

دخل الطبيب فأيقظتني ريجينا:

- سلامات الحمد لله، بسيطة مجرد رضوض وجروح تطلبت بضعة غرز فقد أظهرت صورة الأشعة بأن الرأس سليم وهذا ما يبدّد قلقنا لذا سأسمح لك بالخروج غداً.

بخروج الطبيب دخلت لهاد تضحك:

- سلامات أيتها العبيطة، الحادث دليل هبل وسيارتك انتهت تماماً، تكرمشت كوجه جدتي مريم وقهقهت، لا أظن أن أبي سيقتني لك سيارة ثمينة هذه المرة. سناء تسلم عليك، زارتك البارحة لكنها سافرت هذا الصباح مع عارف، لم ترد أن تتركه يذهب إلى دبي وحده خوفاً من العقربة سوسن.

وأكملت:

- أمي ستزورك في الليل فهي مدعوة على غداء مهم عند منيرة المشيحطي على شرف أميرات خليجيات في بيتها البحري بالفنطاس حيث سيغني فؤاد سالم وسعدون جابر ونوفل بالإضافة إلى فرقة سليمة ونورة الشعبية، ريجينا ستكون معك، إن احتجت أي شيء أرسليها لتكلمني من هاتف الجناح فالهاتف في غرفتك لا يعمل.

مرّت الدقائق طويلة، لا شيء سوي حوائط المستشفي الباهتة الزُّرقة ووجه ريجينا تتلو بعضاً من الإنجيل وتحرك أصابعها بشكل صليب وكأنها ترقيني، أطعمتني وأدخلتني الحمام وبدأت أشعر ببعض التحسن الجسدي لا النفسي، فقد شعرت بعبثية حياتي وأن موتي فعلاً لا يعني أحداً.

وأنا في غمرة أفكاري السوداء سمعت طرقاً على باب غرفتي وإذا برأس فوقه حجاب أبيض يطل علي، لم أتبين ملامحه:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قالت ودخلت.

إنها هي رفيق الله، من ناشطات القائمة الائتلافية في الجامعة ترتدي حجاباً أبيضَ يحيط بوجهها بطريقة تغطي جبهتها ثم ينطوي على الأجناب باتجاه الوجه ويعقد تحت الذقن مع جلباب يشبه ما يلبسه الرجال في الصعيد إلا أن له ياقة كياقة القمصان وتضع على رأسها عباءة سوداء تمسكها بمحاذاة عظمة الترقوة، كان منظرها في عيني أقرب لمتسولة مع أنها من عائلة رفيق الله الميسورة الحال.

وضعت يدها على رأسي وتمتمت:

- أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، سبع مرات ثم جلست وأردفت: الله سبحانه وتعالى يمنحنا فرصاً في هذه الحياة الفانية لنستيقظ من غفلتنا والإنسان سبحان الله تلهيه الدنيا عن رب العالمين وتأخذه مفاتن الحياة ومغرياتها، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، الحمد لله الذي أنقذك وسلمك ليعطيك فرصة للتغيير. والله يا حبيبة قلبي أنني مذ رأيتك في أروقة الجامعة وقلبي رف لك سبحان الله، لمحت بك بذرة إيمان ويشهد الله أنني دعوت لك في صلاتي بالهداية، حلمت بك ذات ليلة ترتدين الحجاب وكان وجهك الجميل - تبارك الرحمن - يشع نوراً وكنت تبتسمين بسكينة.

هل قالت وجهي الجميل؟ لم أسمع أحداً من قبل يصف وجهي بالجميل! بدأت أهتم بكلامها، ولقد شعرت بذلك فبالغت في المديح.

- يـــا حبيبة قلبـــي حرام هذا الطول الفارع والقوام الرشيق أن يُـــتاح لعيون الذئاب. أنت جوهرة يا سلوى ولا تعرفين قيمة نفـــسك وســـبحان الله رب العالمين الذي بعثني كوسيلة لأنه يحـــبك ويـــريد لك الصلاح. أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه سأذهب لأصلي الظهر وسأمر عليك بعد صلاة العصر في وقـــت الـــزيارة فاليوم جمعة وليس هناك محاضرات، هل أحضر لك أي شيء معي حبيبتي؟

- شكراً، قلتها وأنا في حالة ذهول.

وجهـــي جمـــيل، طولي فارع، وأنا جوهرة، أعجبني الإطراء أما الذئاب فنهى رفيق الله لا تعرف أنني ألبس لهم البكيني في نادي اليخوت ولا يـــنوبني غير الإهانات والسخرية، بينما تلاحق أعينهم بنهم أجساد باقي الفتيات الغضة البضة.

سرحت أفكر في نهى، تناولت غدائي بمساعدة ريجينا ونمت قليلاً فرأيتني ألبس هذا الغطاء ووجدته يخفي الشعر الأسود الخشن النامي عند زوالفي وتحت ذقني والذي كان يدفع أحد شباب النادي لأن يقول ها سلوى "مو حالقة اليوم؟"

صـــحوت علـــى طرقات باب وإذا بنهى تأتي على الوعد ومعها بعض الكتيبات وضعتها على الطاولة بمحاذاة سريري وقالت:

- تصفحي الكتيبات ولو على سبيل تمضية الوقت، سلوى حبيبتي عندما تعرضتِ للحادث هل فكرت بالموت؟

- نعم.

- وهل تملكك خوف من رب العالمين؟

- لا

- ألم تستعرضي شريط حياتك وتشعري ولو ببعض الندم؟

- لا... ما أرعبني هو فكرة أن موتي لن يعني أحداً.

- استغفر الله العلي العظيم وأتوب إليه، أطردي من رأسك وساوس الشيطان الرجيم يا حبيبة قلبي، هذا الشيطان يوسوس لبني آدم، يقول الله عز وجل في محكم كتابه: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ" حياتك ثمينة وغالية والأجدر بك أن تنيريها بطاعة الرحمن واجتناب المعاصي. وأنت بنت معدنك ذهب، انفضي عنك الغبار ليظهر بريقك.

معدني ذهب! تساءلت في ذهني، بعض أنصار الوسط يعيبون معدني بأبي ابنة حامد السوسي، غريب كيف يختلف البشر في آرائهم حول نفس الشخص.

شممت رائحة طيب أمي قبل أن تدخل فهي تتعطر بدهن عود فواح معتق غالي الثمن أكره رائحته، جلست على أول كرسي وقالت:

- تقول أختك إن الطبيب سيخرجك غداً، ممتاز فأنا سأسافر بعد غد ولا أود أن أضطر لتأجيل سفري.

- كيف كان الغداء عند منيرة المشيحطي؟ سألتها.

- كان سبع نجوم، الأميرات الخليجيات كن يرتدين مجوهرات لم أر مثلها حتى أنني استحييت من عقدي رغم أنه بسعر قطعة أرض.

- السلام عليكم خالتي، قالت نهى، الحمد لله على سلامة سلوى.

- من تكونين؟ ردت أمي بصلافة.

- أنا نهى رفيق الله زميلة سلوى في الجامعة.

- ومنذ متى يا سلوى بدأتِ تصحبين هذه الأشكال؟

- سامحك الله يا خالتي أنا جئت زائرة لا أبتغي غير وجه الله فزيارة المريض أوصانا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، استأذن وخرجت.

لم أنادِ نهى، فلم أتعود على حسن التصرف، وفي الوقت نفسه لم أستغرب موقف والدتي إلا أنني شعرت برغبة في تحدي أمي التي أهانت مخلوقة لطيفة أمطرتني بالمديح، ففجرت قنبلة:

- أنا قررت أن أرتدى الحجاب.
- إخرسي يبدو أن الحادث قد ضرب عقلك سنطلب من الطبيب أن يجري المزيد من الفحوصات لقواك العقلية.

ردها زادني إصراراً على المضي في طريق طويل سيأخذني لمتاهات لم أحسب لها أي حساب، ليتها وافقت لكنت تراجعت، ليتها تعاملت مع نهى بلباقة.

- سأتحجب، وهذا قرار نهائي قلتها بحزم فأعجبتني نبرة صوتي.
- سيقتلك أبوكِ، قالتها وهي تتجه للباب وخرجت دون توديعي.

يبدو أنها لم تصدّقني، قلت في نفسي: حسناً سأريهم كلهم كيف تصر سلوى على رأيها المختلف، يوم خروجي من المستشفى حضرت نهاد وأنهت إجراءات الخروج فيما جمعت ريجينا كل متعلقاتي كان محمد سائق العائلة ينتظرنا عند مدخل الطوارئ، ركبت مع نهاد في المقاعد الخلفية فيما ريجينا جلست في المقعد الأمامي. طوال الطريق من المستشفى إلى المنزل كل ما كان يشغلني هو الحجاب.

استقبلني أبي بضحكة مجلجلة:

- حيا الله المطوعة سلوى، نقلت لي والدتك رغبتك في الحجاب، ولقد ضحكت حتى تقطعت مصاريني، يا ترى ما هي المفاتن التي تريدين حفظها عن العيون يا خلاّف، عموماً أنا موافق فالحجاب أرخص.

قالها ضاحكاً وأمر والدتي بأن تأمر الخدم بإحضار الغداء.

صعدت إلى غرفتي وتمددت على سريري أتأمل سقف غرفتي وتصميمي يزداد، أقبلت نهاد وقالت:

- أشعر أنك تكذبين علينا كذبة أبريل، أين أنتِ من الحجاب؟ أنتِ أصلاً لا تصلين.
- سأصلي.
- أنتِ لا تعرفين اتجاه القبلة.
- سأتعلم.
- كم ركعة صلاة الظهر.
- أربع ركعات، أرأيت أن معلوماتي لا بأس بها؟
- لا تقنعيني أنك اقتنعت بكلام نهى كما نقلت لي أمنا؟
- نعم اقتنعت وأشعر أنني سأولد من جديد.

- والله بــراحتك، ســيكون لدينا محجبة نحضر لها أطفال العائلة ونشير إليكِ أمامهم: هذه متحجبة.

تركتني أكثر إصراراً، الكل يستخف بــي ولا حل سوى الحجاب، من أين أبدأ؟ سؤال حيرني، كيف لي أن أصل إلى نهى رفيق الله؟

طرقت ريجينا الباب وقالت:

- هذا صديق مال أنت موجود.

دخلت لمياء واحتضنتني وعيناها تلمعان بدموع.

- افــتقدك في الجامعة اليوم وحين سألت نقلوا لي خبر الحادث، ألف سلامة عليك كيف حالك؟ ماذا حدث؟ كيف تشعرين الآن؟ ظننــتك مــشغولة بعطلة نهاية الأسبوع ولم أتوقع أن تكوني بالمستشفى.. لماذا لم تخبريني؟

- لمياء عندي لك خبر.

- خير؟

- سأتحجب.

- نعم، قالت بفزع.

- س أ ت ح جّ ب.

- لماذا؟

- لأنني جوهرة ويجب أن أصون نفسي من الذئاب.

وضعت لمياء راحة يدها على جبيني وقالت:

- هل أنت محمومة؟

- لمــاذا تحتقرون رغباتي؟ هذه حياتي وأنا أشعر أنني ولدت من جديــد فأنــا ذات معدن ذهب ويجب أن أنفض عن نفسي الغبار.

- هذا كلام بنات الائتلافية أمهات حجاب أبيض بو ربطة! هل زارتكِ إحداهن؟
- نعم، زارتني لهى رفيق الله وأحضرت لي كتبا واقتنعت.
- بيومين يا سلوى؟
- الله يهدي على كيفه.
- انظـــري لملافظك، الله يهدي من يشاء ولا يجوز أن تقولي الله يهـــدي علـــى كيفه!!! يا سلوى أين أنت من التدين؟ أنت تعيـــشين حياة السهر والحفلات والشلل ونادي اليخوت، أنا أقـــرب للحجاب منك، فأنا حدود حياتي هي البيت والجامعة والـــندوات الثقافـــية والـــسياسية التي نحضرها مع الوالد أو المناسبات الاجتماعية التي أحضرها مع الوالدة.
- هذا قراري الأخير.

4

انتهــزت فرصـــة سفر أمي وأبـــي وارتديت الحجاب بمساعدة مرشـــدتي الدينية نهى رفيق الله التي أهدتني مجموعة من خمس حجابات بيـــضاء متطابقة وثلاثة جلابيب بالألوان التالية: رمادي، كحلي وبني محروق وعباءتين.

وقفت أمام المرآة بحجابـــي الأبيض وجلبابـــي الكحلي وأعجبني مـــا رأيت، الحجاب يغطي جزءاً من شعر وجهي ويضفى على ملامحي طيـــبة محببة أما الجلباب فيغلفني بالغموض ويدفع العيون للتساؤل عن المفاتن التي أخفيها.

وضـــعت العباءة على رأسي وحاولت أن أمسكها كما تفعل نهى فلـــم أفلـــح تحركت بها في غرفتي ومع خطواتي الواسعة كانت تتطاير خلفـــي وكأني بات مان، ضحكت كثيراً وأنا أجري في غرفتي ممسكة بالعباءة وهي تطير خلفي ثم وقفت أمام المرآة مرة أخرى وقررت أن لا ألبسها، سأكتفي بالحجاب والجلباب.

عبرت بوابة الجامعة لأول مرة مرتدية الزي الجديد وقلبـــي يخفق فلقـــد كـــنت أخشى أن أتعرض للسخرية، وإذا بزرف من غمامات سوداء يقبلن عليّ، من هؤلاء؟ تساءلت ثم لمحت نهى تتقدمهن مهللة:

- ما شاء الله، تبارك الرحمن، نور يشع من وجهك ألف مبروك يا حبيبتي

قبلتني واحتضنتني ومن ثم توالت الأخريات بتقبيلي وهنئتي، تقول إحداهن:

- ما أجمل وجهك بالحجاب.

تقول أخرى:

- ما شاء الله، زاد جمالك مع الحجاب.

أحطـــن بــــي باحتفاء راق لي وقلن لي أهن سيقمن مأدبة على شرفي بمناسبة حجابــــي.

لم أكن يوماً مصدر اهتمام إيجابــــي، و لم أشعر بمثل هذه الحفاوة رغم أني لم أرتدِ العباءة كبنات الكويت من المنتسبات للائتلافية فلباسي هو لباس الأخوات العربيات الملتزمات.

أحبـــبت المرحلة الجديدة من حياتي، فأنا محاطة بفتيات متشاهات بــــزي مــــوحد ولا يــــوجد تنافس جمالي كالذي تعرضت له في نادي اليخوت، الذي ينتهي بــــي في المراكز المتأخرة بجدارة.

ثقافتي غير مهمة، فجماعة الوسط متباهون ومدّعون، يستعرضون معلومات تاريخية وسياسية ويتناقشون بما يقرؤون ويحللون ويتجادلون. كــــل مــــا تريده صديقاتي الجديدات أن التزم بالزي الذي أعجبني جداً وأصلي معهن الظهر أو العصر إن أمتد يومي الجامعي.

الظهــــر والعصر كانتا الصلاتين اللتين ألتزم بهما فالفجر مستحيلة بالنـــــسبة لي والمغرب وقت المذاكرة إلا إذا كنت في درس ديني، عندها

أصليها جماعة مع الأخوات، أما العشاء فأنساها لسبب أجهله، أذكرها حين أندس في فراشي الوثير فيغلبني الكسل.

أيـــام الحجـــاب الأولى مـــرحلة جميلة من حياتي، أحاطت بـــي صـــديقات أو خلـــتهن كذلك، اهتممن بـــي وامتدحنني، شغلن وقتي بالأنشطة الاجتماعية والدروس الدينية، مما بدد شعوري بالوحدة كما أنني ولأول مرة أشعر بالانتماء الحقيقي لمجموعة وأتعرف على معنى قيمة الذات أو خلتني تعرفت على تلك القيمة.

يبدو أن الدين هو الحل الأسهل لكل شيء، هل هو كذلك؟

الحجـــاب قـــضي على عقدي المظهرية كما أنه أضفى على مشيتي العـــسكرية بعض الشرعية فالرتم العسكري في خطواتي بدا مظهراً لإلتزام ديني أكثر منه نقص أنوثة، أما انعدام ثقافتي فلقد أصبح ميزة لأنني أتلقى ما يقولـــون دون أن تكون لي خلفية ثقافية أنطلق منها في النقاشات مما جعلني محـــبوبة، أمـــا عن ضعف قدراتي الخطابية فحلها جمل مكررة سهلة الحفظ بعيداً عن نقاشات وجدالات الوسط الديمقراطي وأعضائه المتفذلكين.

الحفـــل المقام على شرفي تم في بيت إحدى الأخوات وهي حصة المازن فتاة ألمعية تدرس في قسم الرياضيات بكلية العلوم، تتمتع بحضور طـــاغٍ وقـــدرات خطابية عالية لها عينا صقر وأنف كسلة سيف وهي تنتمـــي لعائلة المازن وهم كما شرحت لي نهى من المهاجرين الجدد من نجـــد والـــذين لم يكـــن لـــنا كعائلة أي احتكاك بهم فهم محافظون ومـــتحفظون ومن طبقة اجتماعية لا تتزاوج معنا فهم يعتبرون أنفسهم متفوقين علينا نسباً.

حجابـــي كان تذكرة مرور إلى حصة وغيرها من جميع الطبقات الاجتماعية الأعلى والأقل شأناً أو نسباً.

ما أن دخلت بيت حصة حتى شعرت بأنني عروس وأن هذه ليلتي فلقد وقفت الحاضرات لتهنئتي وقدمن لي بوكيهات زهور يدوية وهدايا مختلفة وبدأت الحاضرات يقصصن قصص حجابهن، أولهن ضياء أخت حصة الصغرى والتي تشبهها إلى حد كبير شكلاً ومضموناً وهي طالبة بكلـــية الآداب قـــسم اللغة العربية، تذكرت كلام صديقتي لمياء: بأن الحجـــاب لبـــنات نجد من الأسر المهاجرة حديثاً هو حل توافقي أسبغ علـــى عاداتهن وتقاليدهن أدلجة، لمياء تكرر كلام والدها الصعب ماذا تعني أدلجة؟

لا أدري ولا يهم، هي تظن بأنهن لو لم يرتدين الحجاب لارتدين العباءة والشيلة على الطريقة السعودية ولربما اضطررن لتغطية وجوههن بالبوشـــية، ما لي ورأي لمياء التي تنتمي لأصول نجدية متقاربة معهن إلا أن أسرتها أكثر تحضراً بسبب قدم الهجرة إلى الكويت.

هـــي تـــسميهم مهاجـــرين جدداً لأنهم كما نقلت هاجروا في الثلاثينات من القرن الماضي بينما رابع جد للمياء ولد في الكويت، أنا مستمتعة بمحيطي الجديد ولا تهمني تواريخ الهجرات ولا الأدلجات.

بعـــد أن دعتـــنا حصة لمائدة العشاء التي حوت ما لذ وطاب من مأكـــولات منـــزلية لم أذق ألذ منها انتقلنا لقاعة أخرى حيث ينتظرنا الشاي والحلويات وهنا بدأت حصة درسها:

- حـــياكم الله يا أخواتي وهذه الساعة المباركة التي نتجمع فيها لنحـــتفل بهداية أختنا وحبيبتنا سلوى التي شاء الله سبحانه أن

يهـــديها، نتمنى من الله لنا ولها الثبات والمزيد من الهداية. بني آدم يـــا أخواتي - سبحان الله - تأخذه تلاهي الحياة وملذاتها فيبتعد عن خالقه الذي أكرمه كإنسان وكمسلم بالدرجة الأولى.

المـــسلم يـــا أخواتي ميّزه الله بهذا الدين الرائع لذا ينبغي له أن يتميز هو عن غيره، ليس فقط في العقيدة والعبادة بل في المظهر واللباس والسلوك. إن هذا التمايز لا يجب أن يكون من منطلق شخـــصي دنيوي منبعه بأنني أريد أن أتميز عن الآخرين فالله جـــل وعـــلا ميزنا كمسلمين وعلينا أن نتمايز ابتغاء مرضاته ورحمـــته سبحانه. حين تلتزمن يا أخواتي بالحجاب الشرعي فأنتن تتمايزن عن المحيط المنحرف وراء المظاهر، وهذا بحد ذاته جهاد والله يأجرنا وإياكم عليه.

نقلت عينيها بين الحاضرات لترى مدى اندماجهن مع حديثها وأضافت:

- إن جهـــاد الـــنفس من أصعب أنواع الجهاد فمن السهل أن تـــرتدي إحداهن الملابس الجميلة ذات الألوان البراقة وتمشّط شـــعرها وتصبغ وجهها لتبدو بصورة حسنة ظاهرياً، ولكن الـــصعب هو أن تغطي مفاتنها وتستر ما أمر الله بستره فتتميز عـــن المحـــيط بإيمانها والتزامها فيبرز جمالها الروحاني، وحبيبتي ســـلوى قررت اليوم أن تميز نفسها وتتقرب من خالقها بأن تلتزم وتتمايز فهنيئاً لها.

وختمت حديثها قائلة:

- كـــل يوم يا حبيباتي يتزايد ولله الحمد والمنة من قبل ومن بعد عـــدد الأخـــوات اللائي يهتدين وينضممن لركب الطائعات الملتـــزمات، اللـــهم زد وبارك. حدثينا يا سلوى، عن قصة حجابك لتسمعها الأخوات.

تـــوجهت الأنظـــار كلها لي وتلعثمت، فأنا لا أعرف عن قصة حجابــــــي سوى أن والدتي تحدتني وأهانت زميلة زارتني في مرضي في حين أن والدي تهكّم عليّ ولحقت به أختي. طاف بـــي خيالي للحظات بنادي اليخوت الذي ترك عندي جروح لا أدرى متى ستندمل.

حين لمحت نهي رفيق الله ارتباكي تولت الإجابة نيابة عني:

- سلوى بذرة طيبة ولقد أكرمها الله بأن أنجاها من حادث سير بأعجوبة و لم يصبها سوى بضعه خدوش ورضوض وكان هذا الحادث سبب حجابها حيث أدركت بأن هذه الدنيا فانية ولا يبقى سوى وجه الله الواحد الصمد. أليس كذلك يا سلوى؟

أنقذتني نهي فابتسمت وأجبت:

- نعم، الحمد لله.

وتعالت عبارات: سبحان الله ما شاء الله الحمد لله على سلامتك وهدايتك.

هذه الحفلة كانت أشبه بتعميدي لدخول عالم الأخوات.

التمايـــز، رددت هذه الكلمة في رأسي وترجمتها لنفسي يعني" أنا غـــير"، سابقاً كنت مختلفة في أمور مثار سخرية لكنني اليوم مختلفة لأني ملتزمة بديني وسأواجه التهكم في محيطي بهذا السلاح وبابتسامة.

لكـــل الأخوات ابتسامة متشابهه، مصطنعة، أحببتها وأتقنتها في وقـــت قياسي، فهي وسيلة رد آمنة إن عجزت حجتي مع تمتمة: "الله

يهـــديكم" كمـــا أنها وسيلة أشهر بها قوتي المزعومة في وجه كل من حولي.

أهلـــي قابلوا حجابـــي في البداية بالتهكم ومن ثم بالإهمال التام، فأبـــي مشغول بأعماله، وأمي تتنقل بين عزومات الطبقة المخملية التي تـــود أن تُعتـــبر مـــنها في حين أن أختيّ إحداهما تلاحق زوجاً خائناً والأخرى تعتبر الدنيا مزحة.

لمياء وحدها تأثرت أيما تأثر بحجابـــي وحاولت أن تثنيني عنه أو إقناعـــي بالرجوع ومع انشغالاتي بانتمائي فترت علاقتنا حيث لم يعد يربطنا أي شيء، فاكتشفت أنني بالأساس كنت مختلفة عنها في طباعي ونشأتي وبيئتي.

الجماعة لم تمنحني فقط محيطاً أنتمي له بل تولت مستقبلي كاملاً فأحسست بأمان لم أشعر به قط، فهن يساعدنني بتسجيل المواد واختيار الأساتذة ويتبادلن معي المذكرات ويهتممن بنتائجي وتطور الأمر إلى أن جاءتني هي والتي استمرت الأقرب لي من بين الأخوات وقالت:

- سلوى، عندي لكِ عريس.
- ماذا؟ أجبت مندهشة.
- نحن دوماً نزوّج شبابنا من بناتنا، فالطيبون للطيبات حتى يعين أحدهما الآخر على طاعة الله ويدعم بعضهما البعض في شؤون الدعـــوة. زوجـــي أبـــو مصعب طلب مني أن أرشح إحدى الأخوات لصديقه فارس الفوّاز و لم أجد أفضل منك.

- فـــارس الفوّاز، نعم أعرفه أليس ذلك الشاب الوسيم بنظارات طبية ذات إطار أسود وعينين حادتين وشفتين مزمومتين وكأنه على وشك منح قبلة.

تضاحكت هي وقالت:

- اســتحي يا بنت! نعم وهو تقي ورع ومصلٍ، كما أن وضعه في الحركة في ارتفاع ومتوقع له مستقبل باهر، آه لو تسمعين صــوته وهو يرتل القرآن، تبارك الرحمن، صوت عذب رخيم وهو يكتب أناشيد وصيحات للإئتلافية ويقال أن خطه رائع، أي أنـــه متعدد المواهب. كما أنه تدين في سن الثانية عشرة علـــى يد أخوته الأكبر منه الذين سبقوه في الانخراط بالجماعة أي انـــك ستـــضمنين بكارته وستكونين أول امرأة في حياته وهذا أمر مهم فبعض شبابنا كتب الله لهم الهداية بعد أن ذاقوا اللهـــو وجربوا النساء وهؤلاء إرضاؤهم أصعب، أختنا تسنيم تزوجت أحد هؤلاء وبعد شهر العسل طلقها هذا متعذراً:

- لم تدخل قلبـــي!

وأردفت:

- أحرجها وأحرج أهلها حتى أن أخاها اضطر أن يجعل العريس الهـــارب يقف في ديوانية ويقر بأن أخته فتاة شريفة ولا يعيبها شـــيء درءاً للأقاويـــل التي طالتها بعد الطلاق السريع. أبو مصعب حفظه الله تدين أيضاً في سن مبكرة وتزوجته وهو في العشرين وها نحن متزوجان منذ أربع سنوات ولم يعكر صفو حياتـــنا شيء، فهو لا يعرف عن المرأة إلا ما يراه مني وهذه نعمـــة كـــبرى، إن لمسني لا يقارن بملمس امرأة أخرى وإن

تعطرت له فسيعجبه عطري لأنه لم يشم عطر أخرى وإن وإن وإن ممـــا لن أدخل في تفاصيله إلى أن يتم عقد قرانك فتدخلي عـــالم النـــساء بأحاديثهن السرية. فارس لم تطأ قلبه امرأة لذا تمنيته لكِ ما رأيك؟ هو رجل كامل والكامل وجه الله.

أعجبـــتني الفكـــرة فتذكرت شباب النادي الذين تذوقوا صنوف الفتن النسائية وتذكرت عقاب الذي هرب ولم أسمع عنه خبر، لوهلة مر علـــى ذهني مؤيد وعارف وكراتين الويسكي فأحسست بأنني يجب أن أهرب لأحضان هذا الفارس.

- أنا موافقة، قلت ذلك لنهى وشعرت بقلبـــي يتقافز فرحاً.

تولى أبو مصعب زوج نهى مسؤولية إقناع فارس واستغل رومانسية الأخير التي يخفيها بقناع من صرامة فلقد بيّن له أنني فتاة حاربت أهلها وبيئتها المنفتحة والأقرب للتفسخ طلباً لمرضاة ربها وقاومت الذوبان في المحـــيط والتمتع بمغرياته. أظن أن هذه النقطة جعلته يقبل بل ويرسم في خياله صورةً لفتاة مجاهدة صالحة حاربت من أجل الدين.

تقدم فارس الفوّاز لخطبتي مما لفت نظر أهلي إلى أن حجابـــي ليس مـــرحلة عبث سأتجاوزها فها أنذا أنوى الارتباط برجل متدين ملتح ينتمي لجماعة الإخوان المسلمين، رفض أبـــي في البداية وتبرمت أمي إلا أنهم لم يملكوا سوى الانصياع لرغبتي فلقد أصبحت بعد الحجاب عنيدة.

رفض أهلي في البداية أذكى شوق هذا المتدين الحالم وجعله أكثر لهفة ورغبة في الزواج مني لينقذني من براثن محيطي.

5

الجماعـــة لم تــتول أموري في الجامعة فقط، و لم تقدم لي عريساً كامـــل المواصفات على طبق من ذهب، بل إنها تولت اختيار وظيفة لي وتعييني.

وظـــيفتي مدرسة محاسبة في ثانوية قرطبة، محاطة بالأخوات اللواتي كن يملأن المدرسة، وكانت كل من حصة وضياء المازن تدرسان هناك بالإضافة إلى نهى رفيق الله وهناء النمري وأخريات.

حـــصة المازن، مسؤولتنا في الجماعة لديها قدرة غريبة على إقناع الطالـــبات بالحجاب على يدها وكأنها تدعوهن لفنجان قهوة، وفي كل شهر يزداد عدد المحجبات في مدرستنا وتتزايد الرؤوس الصغيرة البيضاء.

حاولت أن أقوم بنفس المهمة دون أن يُطلب مني ذلك فاستغللت جـــزءاً مـــن أول درس محاسبة مبدئي لأدعو الطالبات للحجاب حيث الفتـــرة مفتوحة للسحب والتسجيل لذا لن أبدأ بشرح المنهج فكانت دعوتي كالتالي:

- الله ســـبحانه وتعـــالى كـــرّم بني آدم بالإسلام، وكرّم المرأة بالحجاب ليصونها من أعين الذئاب وقبل أن أكمل...

رفعت طالبة يدها وقالت:

- اسمحـــي لي يا أبلة، وصف الرجال بالذئاب وصف يتنافي مع تكـــريم الله للإنسان، كيف تصفين الرجل بالذئب وهو نوع

من أنواع الضواري، الرجل يا سيدتي هو أبـــي وأخي وخالي وعمي وسيغدو يوماً زوجي وابني.

قالت كلماتها بثقة ولكن بصوت يكسوه بعض الخجل، تنظر إلي بعينين واسعتين عميقتين ورموش كثيفة، شيء ما يسحر في مظهرها، لا أظنه جمالاً بل جاذبية ربما لا أدري.

أربكتني فقلت:

- ليس كل الرجال بالطبع، ولكن هناك منهم ذئاب

ونظـــرت إلى عينيها لأرى وقع كلماتي، فلاحظت أنها تخفي عدم اقتناعها بالنظر إلى الدرج.

بـــدأت أشعر ببعض الغيظ فأردت أن أستخدم سلطتي كمدرسة وسألتها بصوت حاد:

- ما اسمكِ؟

أجابت بهدوء:

- يـــارا الـــنايف، تخصص علوم دفعة 1987 ولقد اخترت هذه المادة من ضمن موادي الاختيارية لأني أتصور أنني سأحتاجها يوما.

كنت قد كسبت بعض الوقت لتحضير كلماتي التالية فسألتها:

- يارا لماذا ترتدين الزي المدرسي ذا اللون الرمادي الموحد؟ لماذا لا ترتدين زياً بلون آخر؟

توقفت لأسمع إجابتها وإذا هي تنظر إلي بعينين ثاقبتين ولا ترد.

- أجيبـــي صرخت.

فقالت:

- كنت أتصور أن السؤال الذي تفضلتِ به مجرد تساؤل الغرض منه توضيح حقيقة لا انتظار إجابة.

كم هي متذاكية تلك البنتّ، قلت في نفسي وصرخت:

- أجيبـــي.

- لأنه الزي الذي حددته وزارة التربية لطالبات المرحلة الثانوية في المدارس الحكومية.

- ســبحان الله، تــستجيبين لوزارة التربية ولا تستجيبن لرب العالمين، نظرت في عينيها مجدداً فلمحت دمعة تترقرق كانت تخفيها بالنظر إلى السقف.

تــراها دمعـــة مــن خـــشية الله، أم أن نبرتي العالية وأسلوبـــي جـــرحاها؟ تساءلت ثم هززت كتفي بلا مبالاة وبدأت بشرح مفهوم المحاسبة.

في اجتماع دوري لنا في بيت حصة المازن ذكرت بكل فخر أنني بدأت بالدعوة وسردت تفاصيل حواري مع يارا النايف.

أخفت حصة امتعاضها بابتسامة مصطنعة وقالت:

- ســلوى عزيـــزتي، نعـــرف تماماً تحرُّق قلبك على الطالبات ورغبـــتك في هدايتهن جزاك الله عنا خير الجزاء ولكن أحياناً يكـــون اختيار الكلمات والأمثلة غير موفق كما أننا في العادة نـــبدأ بالدعوة بعد أن نكوِّن علاقة وطيدة مع الطالبات وليس في الـــيوم الأول. يقـــول الله عز وجل في محكم كتابه: "ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك".

لـــذا فتوطـــيد العلاقـــات بالطالبات هو الأهم واتركي الدعوة لأخـــوات أخريات كل ما نريده منكِ في هذه المرحلة أن تمثلي الجماعة خير تمثيل بأن تكوني لطيفة ومحبوبة بين الطالبات قدر الإمكان.

بدا عليّ الاستياء فقالت ضياء:

- لكل مجتهد نصيب.

وردت حصة:

- نعم جزاها الله خيراً اجتهدت ولربما تكون يارا نموذجاً صعباً.
- أتعرفينها؟ سألتُ بفضول.

قالت حصة:

- نعـــم هـــي طالبة عندي درستها أكثر من مقرر وهي متفوقة بمعـــدل 4 نقاط وتتمتع بقدرات تفوق سنها بمراحل، مهذبة وفصيحة ودلوعة بعض الشيء.

تدخلت ضياء:

- أنـــا أيـــضاً درّستها لغة عربية ورغم تخصصها العلمي إلا أن اهتمامها باللغة والأدب مثير، وهي معي في النشاط المسرحي حيث تكتب مسرحيات ذات مستوى جيد ولكن كما قالت أخـــتي حصة هي حساسة أكثر من اللازم ربما بسبب المرحلة العمرية.

ذهبت لبيت الراحة ولحقتني نهى رفيق الله التي أسرت إليّ:

- للعلـــم يـــارا النايف قريبة حصة وضياء فعائلتا النايف والمازن عائلة واحدة بفرعين.

التـــزمت بتوجيهات الجماعة فعلى كل ما تقدمه لي من دعم وتسهيلات لم يكن المطلوبُ مني الكثير، كان التوجيه واضحاً بأنني لا أصـــلح للدعـــوة في الوقت الحالي وعلي أن أكون معلمة لطيفة، فليكن.

أكملـــت الفـــصل الدراسي دون أي منغصات وبدأت بتحسين علاقـــتي بالطالـــبات، البنت إياها كانت متفوقة جداً وقليلة الكلام مما جعلني أطوى صفحة الخلاف الأول ولكن شيئاً ما في نظراتها أوحى إلي بأنها لم تطوها! أو ربما خيل لي ذلك.

ثانوية قرطبة بالنسبة لي محطة عمل ممتعة كنت محاطة فيها بالأخوات والأحبة وحتى الأقارب فابنة عمي وفاء السوسي هي الأخصائية الاجتماعية في المدرسة وهي طيبة ومحبوبة جداً بين الطالبات وأولياء أمورهن.

مررتها يوماً للسلام وإذا بالباب مغلق، طرقته و لم أنتظر جواباً فتحت الباب وإذا بيارا تبكي ووفاء تحاول تهدئتها، نظرت إلي وفاء نظرة فهمت منها أن أغلق الباب واتركهما وهذا ما فعلت.

في الممر رأيت وكيلة المدرسة ست فوز الساطي تتوجه إلى غرفة الأخصائية الاجتماعية وتبدو حانقة.

ست فوز من جيل الأوائل اللواتي ذهبن للدراسة في مصر، تحمل أفكاراً تقدمية وبالطبع ليست محجبة وهي تنتمي لأسرة معروفة وميسورة الحال.

لم تكن تطيق المعلمات من منتسبات الجماعة وتسعى على الدوام لوضع حد لنشاطهن الدعوي، فالمدرسة مكان تربية وتعليم وليست مسرحاً سياسياً كما تكرر على مسامع حصة وضياء المازن، الأم تبعث ابنتها للمدرسة للتحصيل العلمي لا ليتم إقناعها بالحجاب أو سواه.

تعمّدت أن أمر على نافذة مكتب الأخصائية التي تطل على باحة المدرسة علني ألمح شيئاً وإذا بالست فوز تحتضن يارا وتمسح على شعرها في حين طالبة أخرى تجلس على الكرسي وتتحدث بعصبية.

ماذا حدث؟ تساءلت، وإذا بالأخت هناء النمري تتوجه مسرعة للإدارة وتبدو مضطربة، هل الموضوع يتعلق بهناء معلمة الدين!

حكت لنا هناء ما حصل معها في تجمع دوري لنا.

- مقرر تربية إسلامية رقم 30 يحتوى على تعريف للقضاء والقدر وكنت قد طلبت من الطالبات أن يحضرن الدرس.

افتتحت درسي بسؤال: ما هو تعريف القضاء والقدر يا بنات؟ رفعت طالبة أصبعها طالبة الإجابة؟ وما أن سمحت لها حتى قالت:

- وفق أي مدرسة يا أبلة هناء فلكل توجه تعريف مختلف فالمعتزلة يعرفون القضاء والقدر بطريقة تختلف كلياً عن القدرية و...

- بس، قلت لها، أنا أريد تعريف الكتاب.

هنا تقافزت أخرى وقالت:

- إذن لماذا طلبتِ منا تحضير الدرس يا أبلة؟ كان الأجدر بك أن تطلبي منا حفظ الدرس.

ابتسمت الطالبة الأولى مستحسنة كلام صديقتها وتبادلتا نظرات أغاظتني فطردتهما من الفصل، كبرت المسألة حيث استخدمت العفريتتان مصطلحات مثل الإرهاب الفكري والقمع وأن تحضير الدرس يفترض أن يكون بالقراءة عن الموضوع ومناقشته وأن القضاء والقدر موضوع حيّر الفلاسفة ولا يجب أن يتم تدريسه بالتلقين. يارا قريبة الست فوز ودينا ابنة الوزير المعروف وهما متفوقتان مما جعل ست فوز تعطيني لفت نظر.

- يارا قريبة حصة المازن وحصة لا تقرب للست فوز، سألت هي.

فأجابت:

- يارا قريبتها من جهة الأم.

شددّت حصة على ضرورة التعامل اللين مع الطالبات والابتعاد عن الجدل مع الذكيات بالذات لأنهن يدخلن الشك في قلوب زميلاتهن، ما أن تكون ضمن الفصل طالبة بقدرات غير عادية أو تعرفون انتماءها لبيت سياسي ليبرالي مثلاً أنصحكن بالالتزام بالمنهج

وتـــرك الأحاديـــث الدعـــوية جانباً حتى لا توقعن أنفسكن بمشاكل وجزاكن الله خيراً وسدد خطاكن.

بمـــا أنه تم حظر نشاطي الدعوي في المدرسة قررت أن أمارسه في محـــيط العائلـــة وبدأت بابنة خالتي سبأ، كررت لها كل ما سمعته من الأخـــوات وحاولت استرجاع ما قالته لي نهى حين دعتني للحجاب، ويـــا لفـــرحتي أن سبأ إقتنعت وأشهرت رغبتها في وجه خالتي وأبيها الكاتب الصحفي الليبرالي الشهير.

اتـــصلت بـــسبأ لأرى إن كانت تحتاج مساعدة بشراء ملابس الحجاب فجاءني صوتها مرتعشاً:

- سلوى لقد تراجعت عن القرار.
- لماذا؟ هل رفض والدك؟ طبعاً متوقع هو يكره الحجاب، وأكيد خالتي أيضاً هددتكِ ولكن يجب أن تتمسكي برأيك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.
- لا يا سلوى لم يرفض أحد.
- ماذا؟
- أبـــــي أبـــدى ترحيبه وقال أنا سعيد من أجلك يا ابنتي لقد ربيـــتكم جمـــيعاً لتختاروا دروبكم في هذه الحياة وأنا أحترم اختياراتكم وأدعمها وإن لم توافق هواي فأنتم أبناء الحياة كما يقول جبران.
- ما المشكلة؟ هل خالتي عارضت؟
- لا لم تعارض ولكن أبـــي بيّن لي أنه باختياري الحجاب أكون قد وضعت على عاتقي مسؤولية وهو على يقين من أنني أهلٌ لهـــا فالحجاب ليس قطعة قماش تغطي الرأس، بل علم ترفعه

المسلمة لتقول أنا أكثر تديناً من غيري وأكثر التزاماً، لذا فأي تصرف يحسب لصالح أو ضد هذا الدين.

- كلامه مشجع، وأنا في غاية الاستغراب من موقفه ما المشكلة؟
- ختم أبي كلامه قائلاً: أنا متيقن أنك يا سبأ على مستوى هذه المسؤولية وأتصور أنك فكرتِ وتدارست شتى جوانبها حتى التافه منها المتعلق بالأسفار وصيفياتنا المتناثرة بين مونتانا السويسرية ومايوركا لأني لا أظن أن هذه التوافه تقف في طريق رغبتك وإيمانك.
- سبأ، أريد أن أفهم ما الذي جعلك تتراجعين؟ أبوك الليبرالي يشجعك كما لو كان من الجماعة؟
- تشجيعه لي جعلني أتردد كما أنني فكرت في الأسفار وتبدل حياتي للأبد فوجدت أنني لا زلت في مقتبل العمر ولا أريد أن أقيّد نفسي بالتزام عظيم كهذا.

وهكذا تراجعت سبأ عن قرارها وسلبني ذلك الكاتب الشهير نجاحي الجزئي الأول.

6

ظننت أن زواجي من فارس هو أفضل ما تحقق لي في حياتي، فبمقارنته بوالدي وبأزواج أخواتي أجده محترماً متديناً يعاملني بأدب جم ممزوج بجفاف مقنّع، كما أنه طموح سواء على الصعيد السياسي أو العملي فلقد ترقى في عمله بطريقة متسارعة مما كفل لي نمطاً معيشياً أعلى من أخواتي اللاتي كانت أوضاعهن متذبذبة.

منذ اليوم الأول لزواجنا أخذ العمل السياسي والوظيفي الجزء الأعظم من يوم فارس، هذا ومثلت والدته شمسه التي يدور في فلكها، كلما غاص قلبه بالهموم أجده يتراكض لأمه لا يحدثها ولا يشكو إليها فقط يضع رأسه في حجرها، تمسح عليه صامتة فتتهلل أساريره.

تقول أختي نهاد:

- لا أعرف كيف تعيشان معاً أشعر أن علاقتكما علاقة بالشوكة والسكين بلا حميمية.
- أنا أحترمه.
- حلوة منك يا سلوى! أنا أختك وأعرفك أنت تخشينه وأحياناً أشعر أنك تجدينه كثيراً عليك.
- كثيراً! لماذا؟
- لكل الصفات التي يتمتع بها.
- وأنا ما علي قاصر.

- كما تشائين.

تُـــرى هـــل فعلاً كل ما يجمعني به هو الإخوان؟ أتساءل، ثم أهز كتفي لأن نهاد غبية، نحن لا نتحاور بأي شيء يخص الجماعة، صحيح أنهـــا كانت سبباً في زواجنا ولكنها حتماً ليست سبب استمرارنا، أو تراها كذلك؟ يا الله، بدأت أقلق...

- لا أراكما تهرمان سوياً... تقول سناء.

- هل تعتقدين أن كل الأزواج عارف؟

- لا، ولكـــني لا أشـــعر بأي انسجام على أية مستوى تبدوان شاذين معاً.

- ليس بقدر شذوذ وضعك مع عارف، قلتها لأغيظها.

والدي كان يقول لي متهكماً:

- الـــشرع عندهم يحلل أربعاً، لا أرى سبباً يجعله يكتفي بك، أشـــعر أحـــياناً أنه ضيف سيتركنا قريباً فلا أظنك تقبلين بضرة.

ترد والدتي:

- الله لا يقوله، فارس رجل ولا كل الرجال، لأول مرة أشعر أن زوج ابنتي كابني، شعور لم ينتابني تجاه عارف أو مؤيد، فارس عوضني عن الابن الذي لم أنجبه.

- أمك بدأت تشكوني لدي زوجك قبل أن يكمل سنته الأولى معك، رد والدي بتهكم.

- هل صحيح هذا الكلام؟تساءلت بخوف، فهذا ينسف محاولاتي للتمويه حول طبيعة علاقات أسرتي.

- إسأليها قال أبـــي.

نظرت لأمي فعرفت أنها فعلت وغاص قلبـــي بين ضلوعي.

كلما دخل فارس بيت أهلي أعد الدقائق لكي يخرج بأقل خسائر ممكنة وأحبس أنفاسي وأدعو أن تمر تلك الساعة بسلام دون مواقف تحرجني أمامه سواء من أبي أو أخواتي أو أزواجهن أما أمي فمعاملتها له مميزة.

- هلا فارس كيف الحال؟ تقول نهاد.

- أهلاً أهلاً يرد بتحفظ.

شيء ما ينبؤني بأنه لا يحترم نهاد، ماذا لو كان لا يحترمني أنا أيضاً؟ لا، أنا زوجته وهو يحترمني بالتأكيد.

تقول نهاد:

- سلوى لقد خسرت وزناً ألا تلاحظين؟ أنني على حمية منذ أكثر من أسبوعين وقد خسرت حوالي 4 كيلوغرامات، أظن أنني خسرتها من الأماكن الخطأ، أنظري إلى مؤخرتي وفردت قماش فستانها وشدته، لقد ترهلت مؤخرتي مع فقد الدهون وبقي بطني منفوخاً كما هو.

حدّقت بها، مشيرة بعيني إلى وجود فارس فقالت:

- فارس ما رأيك بمؤخرتي وتضاحكت؟

أنزل عينيه وهز رأسه باستياء، قمت من كرسي وقلت لفارس سأنادي والدي هو لا يعرف أنك هنا وإذا بأبي قادم.

قام فارس وحياه باحترام.

حضرت سناء وقالت لي ولنهاد:

- انظرا إلى الساعة التي أهداني إياها عارف ومدت ذراعها في وجوهنا.

- جميلة قالت نهاد.

- مبروك رددت.

فالتفتت سناء إلى فارس وقالت:

- الأحرى بك أن تحضر لأختي ساعة مثلها.

رد بسرعة من كان قد حضّر نفسه مسبقاً للإجابة:

- نعـــم، إن تصرفت كما يتصرف زوجك العزيز يكون واجباً علي أن أشتري لها مثلها وأفضل.

آه يبدو أنه قد أستفز! يا إلهي قلت في نفسي.

علـــى مائـــدة الغداء جلسنا جميعاً، كان أزواج أخواتي قد وصلا فدار الحديث.. بدأ مؤيد موجهاً حديثه لفارس:

- مبروك الترقية.

رد باقتضاب:

- الله يبارك فيك.

- الترقية، هل حصلت عليها بفضل الإخوان المجرمين أم أن عمي حامـــد كان له يد؟ قالها وهو يبتسم لأبـــي الذي بدوره فرد كتفيه بفرح مراهق.

- بمجهودي، رد باقتضاب أكبر.

فتدخل أبـــي:

- نحن عائلة السوسي مثل الشمس ما تتغطي بمنخل ومن يناسبنا الله يكرمه.

فنظر عارف إلى مؤيد بتهكم وقال:

- صـــبراً، بعد كل هذه السنوات ربما يحين دورنا وتضاحكا في حين ضربتهما زوجتاهما وهما تضحكان.

علـــى مـــاذا تتضاحكان؟ لا أدري، كل ما أعرفه أنني أشعر بأني أكاد أختنق.

تدخلت أمي:

- فارس حبيبي لقد أعددت لك طبق الحلو الذي تحب.
- جزاك الله خيراً عمتي، قالها وابتسامة صفراء تعلو شفتيه.

رزقني الله بابنتي الأولى ضيّ فطار فارس فرحاً بها واختار لها هذا الاسم الذي ناكفته عليه خاصة أن حرف الضاد ليس له رديف بالإنجليزية، ولكن شاء القدر في السنة الأولى من عمرها أن تحدث نقلة قاصمة في حياتنا.

سافر فارس مع صديقه إلى دبي و لم أعرف كنه تلك الرحلة إلا أنه عاد بمفاجأة، ما أن رأيته يدخل باب منزل أبيه الرئيسي حيث نسكن حتى صرخت هلعاً:

- حلقت لحيتك؟

فلحقتني والدته وقالت:

- الحمد الله على سلامتك وليدي تو ما نور البيت، اشتقنا لك يمه وأسرعت تقبله وتحتضنه فيما رمقني بنظرة عتب ودخل البيت.

جلس مع والدته يشرب الشاي وأنا متحرقة لمعرفة سبب ما فعل.

والدته لم تسأله، عاملته وكأن هذا أمر يخصه وحده، كم هي غريبة تلك الأم.

التفت إلي وقال:

- أحضري ضيّ كم أنا مشتاق إليها.
- اصعد إلى شقتنا، هي هناك.
- احضريها من فضلك أريد أن ألاعبها هنا عند أمي.
- أحضرها بنفسك، قلت وتركت له المكان.

اللحية كانت تقابل حجابـــي فماذا يعني أنه حلق اللحية؟ شعرت بشيء يهدد كياني وما أن استطعت أن أختلي به تلك الليلة حتى سألته بعصبية:

- ماذا حدث؟

أجاب بنبرة مقتضبة تظهر حنقه علي بسبب الموقف الذي حصل بحضور والدته:

- حين تتعلمين كيف تحادثين زوجك بالاحترام اللائق أهلاً بك، بزواجك مني ستتبعين قواعد بيت الفوّاز، انسي قلة الأدب التي تتعاملون بها في بيتكم، هل تفهمين؟

- آســـفة، قلت لأني كنت أريد أن أعرف ما موضوع اللحية، جاوبني لماذا؟ لماذا؟

- تركت الإخوان منذ بضعة أشهر، فبعد أن أصبحت عضو في مجلـــس إدارة جمعية تعاونية تكشفت لي أمور وتجاوزات مالية كانت خافية عليّ ولا أقبلها و لم تبادر الجماعة لمعالجتها ووجود اللحية يربطني دائما بهم وعدم وجودها اليوم فيه تحرير لي.

- ولكنها سنة عن النبـــي.

- هي سنة كما يتركها السلف.

- ماذا عن التمايز؟

- أنـــا أتمايز بقيمي ومبادئي التي لا تقبل القسمة على التنظيم، عمـــوماً، لـــن تستوعبـــي ما أرمي إليه لذا لن أناقشكِ، هذا قراري والسلام.

خـــروج فارس من الجماعة جعل الهوة بيننا تتسع، فقد زال عامل التقائـــنا الأهم والأكبر، ولسبب أجهله تمسكت بقوة بهم لأنني وجدت فيهم ما كنت أفتقده ولن أسمح لكائن من كان أن يبعدني عنهم.

بدأت أتشدد دينياً أكثر، ورغم التزام فارس بالعبادات والسلوك إلا أنني ما برحت أناكفه لأبيّن له دوماً أن درجة التزامي الديني أعلى منه.

بعد أسابيع من حلاقته للحيته والذي مثّل علامة فاصلة في حياتنا، حلّت الذكرى الأولى لميلاد ضيّ فقرر فارس الاحتفال به بكعكة صغيرة.

استشطت غضباًورددت:

- إنها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ابتسم ابتسامة استهزاء وأردف:

- العام الأول من حياة الطفل يحقق فيه تطوراً لا يحققه في أي من سنوات حياته اللاحقة ولقد قلت لأمي أن تجمع أخواتي وإخواني وطلبت الكعكة، إن أحببتِ كوني معنا وإلا فافعلي ما يحلو لكِ.

تركت البيت حانقة وذهبت إلى بيت أهلي، سردت القصة لوالدتي ونهاد التي كانت هناك.

والدتي هبّت للدفاع عنه قائلة:

- أنت مخطئة ويجب أن تجاري زوجك، ما المشكلة في أن يحضر كعكة لميلاد ضي الأول، هل نسيتِ احتفالات أعياد ميلادك والفرق الموسيقية والخمر والعياذ بالله! وضحكت.

وهنا قالت نهاد:

- انتبهي لزوجك فما جمعكما قد يفرقكما وبما أنه حلق اللحية فقد يكون آن الأوان لك بأن تغيري هذا الجلباب الذي يجعلك أشبه بشيخ الغفر، زوجك وسيم وازداد وسامة بعد أن حلق لحيته وألف من النساء يتمنينه.

- وانأ ألف من الرجال يتمنوني، قلتها و لم أكن مقتنعة بها تماما.

ازداد البعد بيني وبينه فبينما هو بدأ يقرأ كتب الشعر الغزلي ويستمع لأغاني فيروز صباحاً أصبحت أنا استضيف الدروس الدينية في شقتي بشكل دوري لأثبت للمحيط بأني أكثر التزاما من قبل.

وفاة والدة فارس جعلت الأمور أسوأ، فوالدته شمسه التي يدور حولها والحضن الذي يضع رأسه فيه ليهدأ، موتها ترك فراغاً كبيراً في قلبه وتأثر أيما تأثر انعكس سلبياً على علاقته بي.

ربما شعر حينها أنني لم أكن يوما مصدر حنان له ولن أكون، ففاقد الشيء لا يعطيه، من أين لي أن أغدق عليه حنواً وأنا التي تربيت في بيئة جافة شديدة القسوة؟

تحدثت لنهى صديقتي فطمأنتني قائلة:

- فارس ابن التنظيم وسيظل ولاؤه له دوماً وابتعاده جاء كما قال لي أبو مصعب لخلافات في وجهات النظر حول طريقة إدارة الجمعيات التعاونية فهو لم يقبل دعم تجار الجماعة رغم أن هذا عمل محمود لدعم النشاط الدعوي، يا عزيزتي أبو ضي عقيدته والحمد لله ثابتة فلا تخافي، وفاة والدته رحمة الله عليها هزه لأنه حنون ومتعلق بأمه وبار بها وهذه من علامات الرجل الصالح يا سلوى، استعيذي بالله من الشيطان الرجيم واهتمي به وتبرجي له، وبما أنه يحب الأطفال من تعلقه بضي، أنجبي له المزيد وكما يقول الرسول صلي الله عليه وسلم: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة".

اتبعت بعض نصائحها وحملت بطفلتي الثانية مي، وفي نهايات شهري السادس استيقظت لصلاة الفجر وإذا بفارس يقلب الراديو ويستمع للأخبار بقلق بالغ.

- ما الأمر؟ سألته.

- غزانا العراقيون.

- ماذا؟ قلت غير مصدّقة.

كنت منذ اليوم الأول للغزو وأنا مرعوبة وألح على فارس بضرورة الهروب من الكويت لأنني حامل وستكون ولادتي في نوفمبر وأهلي في مصر، في حين كان هو رافضاً للفكرة ويردد:

- هذه بلدنا وبقاؤنا بها هو بقاء لقضيتنا.

لم نعد نتبادل سوى كلمات معدودة، هو يقضي اليوم خارج البيت في مشاوير غامضة، وإن كان في المنـــزل يسمع الراديو ويتابع الأخبار ثم يجلس في الديوانية مع إخوته وأقاربه حتى وقت متأخر من الليل.

قابـــل إلحاحي عليه بترك الكويت ببرود، وتوالت مراسيل أهلي يبعـــثونها عن طريق موظفين سابقين من جنسيات عربية كانوا يدخلون الكويت ويخرجون بسهولة وكلها تحثني على ضرورة الخروج من البلاد بالـــسرعة الممكـــنة، فالمتوقع أن يتم دكها دكاً في حرب شعواء أو أن يرمي علينا النظام العراقي أسلحة كيماوية وبيولوجية.

امـــتلأ بـــيت أهل زوجي بالأقارب الهاربين من منازلهم إما لأنهم يعملـــون في الجيش أو في الشرطة، تولى فارس تعبئة المنـــزل بالأطعمة المعلـــبة التي تكفي سنة بالإضافة إلى كل ما يمكن تخزينه من أرز ودهن وحبوب وسكر وطحين.

لم أكن أساعد في العمل المنـــزلي بعد أن رحلت العمالة المنـــزلية المـــساعدة متذرعة بحملي وبالعناية بطفلتي ضي، كانت أخوات فارس وزوجـــات إخوانه يتولين التنظيف والطبخ وخلافه في حين أنظف أنا غـــرفتي وحمامي وأكوي أحياناً ملابسنا التي تُغسل وفق جدول نسقنه معاً وأخرجني من الحسبة رأفة بـــي.

حين يخرج فارس تشغلني فكرة كيفية خروجي من الكويت إذا لم يعد؟ ماذا عن ولادتي؟

في حملي الأول بضي كنت أراجع الطبيب كل شهر وفي الشهرين الأخيرين كل أسبوعين أما بالغزو فلا مراجعات ولا هم يحزنون.

لفـــارس عم يرقد في المستشفى لإصابته بمرض عضال وبعد شهر مـــن الغزو العراقي مات بسبب سوء الرعاية، تملكني الرعب و لم أجد مناصاً من إحراج فارس، فقلت له بالحرف الواحد:

- سأخرج من الكويت مع أحد الأقارب شئت أم أبيت.

فرد:

- لن أتركك تذهبين بمفردك.

لم أره حـــزيناً إلا يوم وفاة والدته ودفنها وفي اليوم الذي عبرنا به الحدود الكويتية السعودية، نظراته حملت مرارة لم أفهمها فلقد سعدت وشعرت بالراحة ما أن عبرنا الحدود في رحلة شاقة استغرقت ساعات وســـاعات وعشرات الحواجز العسكرية للغزاة يوقفوننا ويستجوبوننا ويفتشوننا.

ليلتها امتنعت عن الشرب منذ الساعة التاسعة مساءً حتى لا أضطر لدخـــول دورة مياه خلال الطريق وما أن عبرنا الحدود حتى أخرجت قنيـــنة مـــاء وشربتها دفعة واحدة، ضي كانت تنام في حضني بعد أن أعطيـــتها دواء أطفـــال للحـــساسية به مادة مخدرة لتنام وتكف عن إزعاجي.

أردت أن أذهـــب إلى أهلي في مصر لكن فارس أصرّ أن يلتحق بفـــرع لجهة عمله في لندن، استغرق وصولنا إلى لندن أسبوعاً مضت أيامـــه في استخراج جوازات وتقديم أوراق ثبوتية في الرياض والطائف

بالسعودية حيث كان أمير الكويت وولي عهده والحكومة الكويتية آنذاك يقيمون ويديرون شأن البلد المحتل والشعب المشرد.

ولدت ابنتي مي في بلاد الأنجليز ومرت الأيام ثقيلة علي، أقضيها وحدي ألبي حاجات الصغيرتين وأقوم بالأعمال المنزلية، بينما فارس مشغول بالعمل في فرع للجهة التي يعمل بها.

أتابع الأخبار بحيادية وكأن حائطاً زجاجياً يفصلني عما يحدث في بلدي رغم أن أخواتي كنّ في الكويت.

طوال فترة الغزو عشنا أنا وهو سوياً كرفقاء سكن مهذبين.

7

مـــا أن تحـــررت الكويت حتى تحررت بعض الرغبات الكامنة لدى الأفـــراد، أشعر اليوم وأنا أسترجع تلك الحقبة أننا عشنا على حافة الضياع وهـــناك يعرف المرء أن الحياة مضت دون أن يحقق ما يريد، انشغل الجميع بتحقيق أحلامه أو ما ظن أنها أحلام قبل أن تشغله الحياة بمصيبة جديدة.

عـــن نفسي، قررت أن أترك التدريس فلقد ضقت بجو المدارس وتكوين علاقات طيبة بالمراهقات اللائي تتقافز الهرمونات في أجسادهن فتتـــركهن بحالة مزاجية متقلبة، كما ضقت ببيت أسرة زوجي وأعلنت حاجتي لمسكن خاص.

اســـتمرار ابتعاد زوجي عني أعاد لي ذلك الشعور القديم البغيض بالنقص الذي فررت منه إلى الحجاب وعزمت أمري أن لا أستسلم له فسلكت ما ظننته درب تطوير الذات من خلال دورات البرمجة اللغوية العصبية وترجمتها بالإنجليزية Neuron Linguistic Programming أو NLP

تلـــك الدورات لاقت رواجاً في حقبة ما بعد التحرير وجمالها أنها تعـــدنا باســـتخراج القوى الكامنة داخلنا واستنهاض طاقاتنا وقدراتنا وتحقيق كل أمانينا بيسر مما جعل الإقبال عليها يتضاعف.

وعـــودها أقـــرب للرسوم المتحركة وقصص الأطفال عناوينها: مفاتيح النجاح السحرية أو حلمك يصبح حقيقة في سبع خطوات.

كل ما علينا أن نفعله هو أن نتخيل ونحدث أنفسنا بطرق إيجابية:

أنا قوية

أنا جميلة

أنا ذكية

أنا أستطيع

أردد هذه الجمل وأعيش في وهمها فلا شيء تغيّر سوى أنني بدأت أكــذب فعلــياً على نفسي وبدل أن يقودني هذا لتنمية ذاتي قادني من خلال الطرق المبتسرة إلى تضخيم ذاتي آنياً.

تــركت وظــيفتي وعملت في وظيفة أخري في مؤسسة حكومية رقابــية وحــين سألني زوجي عن السبب أجبته بأنني أبحث عن راتب أكــبر، ســعدت بتحــرري من الحرملك، فانا لست كحصة وضياء المحافظات من بنات الإخوان أنا سلوى السوسي ولا يمكن خنقي في بيئة نسائية للأبد.

أحبــبت العمل مع الرجال فأنا لا أجد غضاضة في التعامل معهم لأنــني عــشت عمري محاطة بهم، مشكلتي في صباي أنني كنت مركز تــندرهم، الحجاب والزواج أضفيا عليّ بعض القيمة، لذا دخلت لعالم العمل المختلط بقوة.

اســتنكر الــرجال أريحيتي في التعامل معهم لأنني لم أعرف عن الــرجال سوى شباب نادي اليخوت وسواهم لذا تعاملت معهم بنفس الطريقة، هناك فترة مفقودة تلك التي انتقلت بها من وضعي السابق إلى الحجــاب حيث أصبحت محاطة بالنساء مما خلق اختلالاً في تعاملي مع الجنس الآخر.

زوجــي نبهني مراراً إلى أن بعض ما أقوله في حضرة الرجال "غير لائق".

لا زلت أتذكر يوماً في بيت أهله وبحضور كل أخوانه وزوجاتهم وأخواته وأزواجهم، مدح أحد أخوته نادياً رياضياً أشجعه فقلت:

- كم أحبك يا أبا عبد الوهاب.

وعندها قالت زوجة أخيه الأكبر:

- الحمد لله أنك لم تحبي زوجي، فضحك الحضور واحمر وجه فارس لعدم لباقتي.

لم أفهم الأمر، فأنا لم أعش أجواء بهذا التعقيد، ما المشكلة حين أقول لأخ زوجي بأني أحبه؟

أنا لا أجد غضاضة في أن أمسك أخاه من كتفه، ثم أتذكر مفهوم عدم التلامس الديني لأنه ليس فطرياً لدي كما هو لدى أخريات ملتزمات نشأن في بيئات محافظة منذ الصغر.

لامني فارس على طريقتي في التعامل مع مؤيد وعارف حيث يناكفني مؤيد:

- ها.. صبغ أظافر متآكل الأطراف!! الدورة؟

فأرد ضاحكة:

- نعم، في تأكيد على أني حائض وعلى قبول بتعليقه البذيء.

بعد فترة لاحظت بأن فارس توقف عن توجيهي فظننت لوهلة بأنه قبلني كما أنا وأنه لم يعد راغباً في تغييري، عشنا ما تصورته سنوات سلام ولكنني اكتشفت أنه سلام اليائس.

انغمس في بنيان بيت لنا لم نذق فيه طعم الهناء وفي مهام وظيفته المرموقة التي تطلبت أسفاراً متلاحقة، في عام واحد بلغ عدد أيام سفره حوالي مائة يوم وحين يكون في الكويت يمتلئ جدول يومه بالالتزامات ما بين اجتماعات ولجان وفرق عمل.

في الأوقات القليلة التي يقضيها في المنـــزل يلاعب البنتين ويفضل القراءة على تجاذب الحديث معي، وغدا يتجنب الظهور معي اجتماعياً في أي مكان.

لمحـــته يوماً ينظر إلى ساقي المكشوفة وغير الحليقة بقرف، فرفعت طرف فستاني ووضعت ساقي بقرب ساقه وقلت:

- أبدو أرجل منك أليس كذلك!

- أنا أشهد يا بو عبد الله، رد.

ومـــن يومها أصبح يناديني بأبـــي عبد الله، في البداية ضحكت لأنـــي ظننته مزاحاً ثقيلاً مثل الذي يتم تداوله في بيت أهلي ولكن مع استمراره وصرامة تعابير وجهه بدأت أنـــزعج.

فتـــرت علاقته بأفراد الجماعة حتى أصدقاء عمره منهم، وتوثقت علاقتي أكثر بالأخوات وكأنني أهرب إليهم من هروبه مني وبدأ يكتب بـــدل الأناشـــيد الدينية أشعار غزل ويقرؤها لبعض المهتمين، مما أثار الاستغراب.

مكتب فارس في منـــزلنا هو صومعته التي لا يقبل أن يقترب منها أحـــد ففيها كتبه وملفاته وكتاباته وفواتيره، له طرق مبتكرة في حفظ حياته بملفات.

يحـــتفظ بـــأوراق مثل فاتورة مطعم في بلد ما، قطعة من تذكرة المـــرور لطائـــرة في رحلته الأخيرة مع والدته وعليها اسمها بالإنجليزية، تذكرة قطار، فاتورة لأول ساعة أشتراها له أبوه، وردة مجففة بين دفتي دفتر، منشور دعائي عن منتجع ما.

دخلـــت مكتبه في غيابه أبحث عن صورة لشهادات البنات للعام الدراســـي الماضي لأني أود نقلهن لمدرسة أخرى لا اختلاط فيها، فهو

حريص ويحتفظ بنسخ عن كافة أوراقنا الرسمية. دفعني الفضول إلى فتح ملف مكتوب عليه (قصائد) رغم انني لا أفقه بالشعر شيئاً، وإذا بقصيدة بتاريخ حديث تقول كلماتها:

هل كُنتُ حيناً غافلاً؟ أم كُنْتُ أحياناً كثيرةْ؟
قُبْحاً صريحاً ظاهراً يبدُو كما شمسِ الظهيرةْ
شَعْرٌ غَزَى أطرافَهُنَّ.. غَزَى الوُجُوهَ على الوتيرةْ
المالُ كُلُّ مُرادِهُنَّ، لهُنَّ آمالٌ صغيرةْ
لا يرتدعنَ عنِ الرجال قُلُوبُهُنَّ لهُمْ أسيرةْ
طَعْمُ المُحِيْطِ قَذارةٌ، تلكَ النُفُوسُ نَمَتْ حقيرةْ
أَتُرى عَمِيْتُ عنِ المَشَاهد؟ أمْ تَغَبَّشَت البصيرةْ؟
عُقَداً نَفَثْنَ أظُنُّهُنَّ فَهُنَّ "سوداواتُ سِيْرةْ"

قرأت القصيدة أكثر من مرة وتوقفت عند كلمات محددة! تمتمت: ربما لست المقصودة، أتراه يسميني أبا عبد الله بسبب الشعر الذي يغزو أطرافي ووجهي.

تقاطرت الدموع من عيني! وحين يقول أنه غافل هل يقصد أنه غافل عن اختلافاتنا! المال في بيت أهلي هو وسيلة التعبير عن الحب والكره ولكن ما أدراه؟

الرجال! أتراه يعرف عن ماضيي في نادي اليخوت؟ أتراه شك في تعاملي مع الزملاء الرجال الذين عمقت علاقتي بهم؟ أم هو يعرف قصة أختي نهاد؟ من نقل له؟ هل تراه يعرف عن عقاب؟ ماذا يقصد بالنفاثات في العقد؟ هل يعرف عن محاولات أمي البائسة لتحسين أوضاعي وأخواتي بالشعوذة؟ من أبلغه؟ إنها مجرد امرأة عجوز وأنا لا آخذ ما

تقوم به للحفاظ على فارس على محمل الجد! ويعلم الله أن كل ما فعلته أمي كان بدافع حبها له بل وربما يقينها من أن الفارق بيننا عظيم!

جلست على أرض المكتب ووضعت رأسي بين ركبتي وبكيت كما لم أبك طوال سنواتي الخمسة والثلاثين، بكيت كل شيء، بكيت بيت أهلي الذي لم أشعر يوماً فيه بالراحة، بكيت فقدان الحنان، بكيت جسدي غير المؤنث بالدرجة الكافية، بكيت الشَعر اللعين الذي يغطيني ويعيبني، بكيت ضعفي، بكيت كل الرجال الذين أساؤوا إليّ، بكيت عقاب، بكيت فارس الضيف الذي مرّ فقط ليشعرني بالنقص أكثر.

مسحت دموعي وقررت أن أطلب الطلاق.

بينما هو يقرأ في كتاب الأغاني للأصفهاني - الجزء التاسع بالذات - أذكر التفاصيل، مجلد باللون الأخضر الداكن، مزين باللونين الأحمر والذهبي، وهو يرتدي دشداشة للبيت بيضاء بخطوط صفراء وزرقاء، حاسر الرأس ومستلقياً على كنبة غرفة المعيشة في البقعة التي يحتلها دوماً.

وقفت أمامه وبحثت عن صوتي فلم أجده وحين وجدته خرج عالياً ومهزوز النبرة:

- أريد الطلاق.

وضع كتابه جانباً، رفع رأسه ونظر مباشرة إلى عيني وكأنه يبحث عن مدى جديتي، لم ينظر في عينيي منذ سنوات، وقال:

- لا يمكن أن أتخيل أنك سعيدة معي لأنني لست سعيداً معكِ ولقد توقفت محاولاتي عن تغيير سلوكك الذي يزعجني لأنني وجدت أن الأمر يفتقد للعدالة، أنت أنتِ وعلي أن استسلم، فكرت في الطلاق منذ سنوات ولكن كلما ألمح وجوه بناتي أتردد لأني أخشى عليهن ويلات الطلاق ولمعت دمعة في عينيه.

- لست مضطرة للعيش مع رجل لا يحبني ومن حقي أن أعيش كما يجب مع زوج يقدرني وليس مجرد شخص يمضي أيامه معي وكأنها حكم بالمؤبد، من حلل الزواج حلل الطلاق.
- هو أبغض الحلال.
- ولكنه حلال لأنه أحياناً الحل الأوحد.
- تمعني في وجوه الصغيرات ربما يشفعن لعدم انسجامنا.
- لن يضرهن شيء، ستبقى والدهم وسأبقى والدهم.
- إذن أبلغي أهلك لنبدأ التفاوض حول حيثيات الطلاق فالموضوع ليس بالسهولة التي تتخيلين.
- حسناً.

قلتها ثم دخلت الحمّام أغلقت الباب وافترشت الأرض مجدداً وانخرطت في نحيب صامت، هل كان بانتظار هذه الفرصة؟ هل كان يفكر بالطلاق منذ زمن وأنا غافلة؟

أنا الغافلة وليس هو! هل لديه امرأة يريد الزواج بها؟ لماذا لم يتزوجها فأغلب رجال الجماعة لهم زوجتان من اسماعيل الشاوي إلى مساعد العبدالناصر إلى صالح الظبياني وغيرهم!

لقد اعترف أنه غير سعيد معي، كم هو مؤلم هذا الاعتراف، أن أشعر به أهون من أن يصفعني به، هو لم يصفعني به، هو مرّغ وجهي بطين هذه الحقيقة والقصيدة اللعينة تحوم حولي كلماتها كذباب الخريف!

ماذا سأفعل؟

8

انغمسنا في التحضير للطلاق بطريقة أشبه بعملية جراحية لبتر ســـاق، تم إشراك محامٍ لكل طرف، مفاوضات وعقد تسوية يتناول الـــسكن والنفقة بالكم والتوقيت ومن تكون لديه الأوراق الرسمية للبـــنات وكيفـــية الزيارات ومن يحدد نوع المدرسة وماذا لو تزوج أحدنا؟ تفاصيل سرقت من عمرنا سنة إضافية حتى جاء يوم الطلاق الفعلي.

أقـــرأ اليوم بنود الاتفاقية التي وقعنا عليه وأدخل في نوبة ضحك هستيري يا للغباء! تقول احدي الفقرات:

"بعد هذه التسوية التي تم بها حسم كافة الأمور المالية والإجرائية وفي حـــال وجود أي خلافات مستقبلية حول بنود التسوية يجب عدم إقحام البنتين بها حفظاً لمكانة والديهما ونأياً بهما عن أن يكونا طرفاً في أية صراعات كما يتعهد كل طرف بأن يتجنب الإساءة للطرف الآخر"

لم تتطرق التسوية لكيفية علاج جروحي و لم تعرج على تعويضي عـــن الألم وسنوات الشباب المهدرة، لذا قررت أن أنال التعويض عن هذا الضرر بطريقتي الخاصة.

طلاقـــي قـــرّبنا أنا ووالدتي كما لم يقربنا أي حدث، فقد شعرنا بالخـــذلان معاً، لا أستطيع أن أحدد من تأثر بهذا الطلاق أكثر، أنا أم أمي التي انهارت وأرغت وأزبدت وامتلأ قلبها غيظاً وكأنها المعنية.

شـــعرت والدتي بأن فارس خانها هي التي اعتبرته ولدها، كانت حـــزينة لفراقه أكثر من حزنها لطلاقي رغم أنها في داخلها توقعت هذا الـــيوم وحاولت تحاشيه بإرسال أطعمة لنا تدس بها ما يعطيها إياه باعة الـــوهم، أو بضعة عطور عربية مخلوطة بمساحيق من سحرة تطلب مني رشها على فراش الزوجية، تدفع لهم مئات الدنانير مقابل وعد باستمرار زواجي وزواج أخواتي.

عرف فارس بطريقة ما، كيف عرف؟ أسترجع البيت:

عُقَداً نَفَثْنَ أَظُنُّهُنَّ فَهُنَّ "سوداواتُ سِيْرَةْ"

هـــل زلّ لسان نهاد يوماً أمامه فتطرقت لهذا الموضوع على سبيل التندر؟ من وشى بنا؟ هل إحدى صديقات أمي اللعينات قد أبلغته؟

لا يهـــم الآن، فلقد انسحب فارس من حياتنا على أية حال وها آنذا أحاول المضي.

أصـــحو صباحاً لأبدأ يومي مملوءة بشعور النقص، كأنني فقدت إحدى ساقيّ، طلاقي أضحى حديث المجتمع، فالشامتون بأمي كثر.

في جلسة عائلية مع العقارب / الأقارب كثر السؤال عن السبب، قالت إحدى النساء:

- آخر ما توقعناه أن يطلقك فارس، فوالدتك تشكر فيه بطريقة مبالغ بها وتسميه ولدها الذي لم تنجبه.

فردت ابنتها:

- نعـــم، كانت تقول لنا بأنه كاتم أسرارها ولو كان لها ولد لما أحبته هكذا.

عندها تدخلت قريبة عارف زوج سناء:

- يبدو أنكم انخدعتم به وظلمتم باقي الأصهار وأدارت وجهها بلؤم.

- ما السبب؟ تساءلت إحداهن.

ردت والدتي:

- عين ما صلت على النبـــي.

لم يقـــنع جوابها الحضور، فقد أخفين ابتساماتهن بصعوبة أثارت حفيظتي، فقلت:

- فارس يحب أخرى وهذا يكفي.

ســـاد صمت في أرجاء القاعة وتبادلت النسوة النظرات وبدا أن الفضول تمكن منهن.

- مـــن هـــي؟ هـــل هي من الإخوان؟ هل هي من عائلتنا؟ من عائلته؟

الله يستر عليها، قلتها متهربة من الإجابة.

عدت إلى بيتي الذي تركه فارس لي وللبنات وكل ما سيطر على تفكيري هو أن أبحث عن اسم يؤكد سبب تركه لي ويبعد عني شبهات التقصير.

بعـــد أســـبوعين اتصلت بـــي إحدى المعارف - امرأة ثرثارة - وقالت:

- وصل زوجي من دبـــي البارحة، حيث صادف على الطائرة طليقك عائداً من رحلة عمل إلى شرق آسيا كما قال لزوجي ومعـــه وفـــد رسمي من 6 أو 7 أشخاص بينهم فتاة من بيت النايف، وقد سألت زوجي إن كانت جذابة فرد على عجل، مملـــوحة! ممـــا يعني أنها بلا شك جذابة، فسألته إن بدا على فـــارس التأثر بعد الطلاق فقال إنه لاحظ عليه خسارة بعض الوزن.

- كيف حالك من بعده يا سلوى؟

- بأحسن حال.
- يـــبدو أن بنت النايف أحسن هدية قدمت لي من الخالق، لقد خلصتني منه.

قلـــتها دون أن أتأكد من اسمها ولا حتى من وضعها الاجتماعي وما إن كانت متزوجة أم لا.

رميت قنبلتي بدون تردد.

ما إن أغلقت الخط حتى اتصلت بنوال المؤذن ابنة عم والدتي التي تعمل مع زوجي وسألتها:

- هل لديكم موظفة من بيت النايف سافرت مع فارس مؤخراً؟
- لماذا؟ هل تشكين أن له علاقة بها؟
- أنا شبه متيقنة، ولكن أريد بعض المعلومات.
- ســـتكون المعلومات لديك خلال ساعة، لم تطلبـــي شيئاً يا عزيزتي قالتها بزهو.

بعد نصف ساعة حصلت على الإجابة.

- الموظفة تعمل في جهة تابعة ولقد سافرت معه فعلاً ضمن وفد رسمـــي واسمها يارا النايف، عمرها أربعة وعشرون عاماً، غير متـــزوجة، حسنة المظهر ورشيقة ومدللة كما قيل لي ومتفوقة في عملـــها لدرجـــة لفتت نظر رئيس الجهاز الذي طلب أن تكـــون محللة في مكتبه لانبهاره بقدراتها ولقد عادت للتو من تدريب في لندن في مؤسسة مالية عالمية.
- يارا النايف، أظن أنني درستها في ثانوية قرطبة، معقولة بلغت هذا العمر؟

اتـــصلت بحصة المازن بدعوى السلام والاطمئنان عليها ثم بادرتها بالسؤال:

- هل تذكرين يارا النايف؟ هل تعرفين أين تعمل؟

أجابت:

- يارا من طالباتي المفضلات ولن أنساها، كما أنها قريبتي ورغم فـــشل كل محاولاتي لهدايتها للحجاب إلا أن لها مكانة خاصة في قلبـــي، لماذا تسألين؟

قلت:

- والله هناك من يسأل عنها بداعي الخطبة؟

أجابت حصة متخلية عن دبلوماسيتها المعهودة:

- إن كـــان من أهلك فليوفر على نفسه العناء لأنهم لن يعطوكم ابنتهم.

- يبدو أن الدين لم ولن يقضي على تلك العقد، أجبت بحدة.

- والله، الرسول صلي الله عليه وسلم قال: "تخيروا لنطفكم فان العرق دساس"

- وهل تعيبين على عرقنا يا حصة؟

- لا العفـــو، كنت فقط أريد أن أجنبكم الإحراج، واسمحي لي فأنا مشغولة سأضطر لإنهاء المكالمة.

اتصلت بنهى رفيق الله وطلبت منها أن تتحرى الأمر وتعرف أين تعمل يارا، جاءتني بالجواب وهو نفس الجهة التابعة التي ذكرتها نوال.

يـــارا.. يارا.. يارا سأُحمِّلها وزر طلاقي، فلم أعد أحتمل الأسئلة الـــتي تطالب بتفسير وتشكك بـــي كزوجة لم تحافظ على بيتها، ويارا اســـم جيد أنتقم به من حصة وضياء قريباتها وأرد لها تذاكيها علي قبل زمن واضعة حداً لخيلائها.

حين فجّرت الاسم بوجه أمي امتقع لونها وقالت:

- غــــير معقـــول، صادفتها مع والدمّا في حفل زفاف ابن منيرة المشيحطي الأسبوع الماضي، بنت صغيرة لا يتعدى عمرها الثانية والعـــشرين وهي وحيدة أهلها، آه لو ترين الفستان الذي ارتدته للمناسبة من ماركة جين بول غوتييه. Jean Paul Gaultier فلقـــد سألت عنه، الفستان عبارة عن قطعتين، جزء رمادي على الجسم ثم يفترش عند الساق كذيل السمكة وعليها قطعة فاخـــرة مـــن دانتيل بلون رماني لا أعرف كيف تمت خياطته بهذه الروعة والظهر مكشوف لمنتصفه و...

- أمي، قاطعتها:

- لمـــاذا تـــصفين لي فـــستانها؟ أنا أخبرك الآن بأنها على علاقة بفارس.

- مستحيل، أجابت بحزم.

- لا يوجد مستحيل هذا هو سبب طلاق فارس لي.

- لن تتزوجه.

- ربمـــا، ولكنه طلقني بسببها، هذا كل ما لدي وإن لم تصدقيني فلك مطلق الحرية.

كرهت يارا أكثر من خلال كلام حصة ووالدتي وأصبحت أنشر هذا الاسم كسبب لطلاقي خاتمة قولي بـــ: الله يسامحها ويغفر لها.

في غـــضون أسابيع انتشر الخبر انتشار النار في الهشيم وأصبحت سيرة يارا وفارس على كل لسان وتزايدت نظرات العطف التي قابلتها بنظرات انكسار ساعدتني عليهما عيناي الأشبهتان بعيني جرو صغير.

هذه الإشاعة عملت كالسحر، بدّلت النظرات التي تحمل لوماً لي بـــأنني مقصرة إلى نظرات شفقة علي لأنني مظلومة، ولقد هبّت بنات جماعـــة الإخوان لنجدتي حين عرفن أنها ليست فقط من خارج التنظيم

ولكنها من الفريق الآخر المعادي، فلقد تعودت الأخوات على الزيجات المتعددة لرجال الجماعة ولكنها في إطار التنظيم وأتباعه وقواعده الجماهيرية أما ما فعله فارس فكان أشبه بالخيانة العظمى حتى وإن كان هو خارج التنظيم.

عشنا جميعاً تلك الكذبة على أنها حقيقة، وبلغ استمتاعي بها مداه على مدى سبعة أشهر أو يزيد، إلى أن جاءت ابنتي ضي في اليوم الذي تزور فيه أباها مع أختها وقالت بلا مبالاة يذكرني بأسلوب أختي نهاد:

- بابا سيتزوج غداً وسيسافر بعد غد في شهر عسل!!

صعقني خبر زواجه، مع أنه أمرٌ متوقعٌ، فلقد كان يعيش في بيته وحيدا لمدة بلغت عشرة أشهر، وبالتأكيد الوحدة صعبة كما أن البنات يزرنه مرة في الأسبوع وكثيراً ما يتحايل عليهن للبقاء معه ليلة تبدد وحشته.

- اسم زوجته القادمة "يارا" أو "لارا" أردفت ميّ.

شعرت بدوار وصحوت بعد زمن وأنا في غرفتي ممدة على سريري محاطة ببناتي وأعينهن دامعة فيما كانت الخادمة ميري ترش الماء علي وتحاول إفاقتي.

رأيت وجوه بناتي فتذكرت الخبر، ودخلت في نوبة عويل جعلت مي تتصل بأمي وضي تتصل بأخواتي اللواتي جئن مسرعات.

دخلت أمي بوجه يكاد يخلو من قطرة دم، وبدت عيناها حمراوين من البكاء، تلحقها نهاد بابتسامة بلهاء.

- "شاعت وكانت" يا سلوى، أطلقتِ الإشاعة وها هي تحققت، الذنب ذنبك يا أختي؟

لا أصدق، تمتمت أمي وسألت ضي:

- ماذا قال لكما أبوكما بالضبط، ربما الاسم غير صحيح؟

أجابت ضي:

- قال أنه سيتزوج غداً وسيسافر بعد غد في شهر العسل وحين سألناه من؟ قال: يارا النايف، سألته مي عن أوصافها وحاولنا أن نشجعه على الحديث عنها ولكنه قال: ستلتقيان بها ما أن نعود من شهر العسل وأنا متيقن من أنكما ستحبانها.
- لا حول ولا قوة إلا بالله تمتمت أمي، كيف قبل أهلها بفارق السن وكونه مطلقاً بأطفال وهي صغيرة لم يسبق لها الزواج؟
- لا أدري، أجابت ضي وأضافت:
- صِفوها لي؟ يبدو أن زوجة أبينا القادمة مثيرة، من تشبه؟ جنيفر لوبيز! نانسي عجرم! جوليا روبرتس!.

قالت سناء:

- طلبك الطلاق كان في غير محله، الرجل كان لطيفا معك، أنظري إليّ أنا التي صبرت على خيانات عارف لي وزواجه علي ومع ذلك لم أطلب الطلاق وحفظت بيتي وأولادي.
- "لا فات الفوت ما ينفع الصوت" قالت نهاد، حذرناها ولكنها عنيدة ولا تسمع النصيحة.

أمي كانت تهز جذعها إلى الأمام والوراء وتفرك يديها وتهز رأسها وتقول: حسافة على فارس أظن أن أي فرصة لاسترجاعه قد تلاشت بزواجه من هذه البنت.

غصت في غمامة من ذهول، كيف وأين ومتى؟ أسئلة هشّمت رأسي كعشرات المطارق الحديدية، لقد كان الغرض من تلك الأكذوبة تشويه صورة طليقي ولم يكن الغرض أن أجمعهما، هل أنا جمعتهما كما تتهمني نهاد؟ هل طلب الطلاق خطأ كما تقول سناء؟ كيف سأتابع حياتي؟

طلبت موعدا من المحامية جهاد الفهيدان التي أشرفت على تسوية الطلاق وقلت لها بالحرف الواحد:

- أريـــد أن أرفـــع قـــضية على فارس، أي قضية وأريدك أن تساعديني؟
- قضية ماذا؟ ألم توقعا اتفاقية؟
- نعـــم، ولكـــن هذا دورك أريد ثغرة قانونية أرفع من خلالها قـــضية، هو في شهر العسل وأود أن أبعث إشعار القضية إلى مقر عمله لإحراجه وإزعاجه.
- لا أنـــصحك بذلك، فلقد بدأتم بداية جيدة من خلال تسوية راقـــية وحـــضارية لماذا يا سلوى؟ تعوذي بالله من الشيطان الرجيم؟
- إن لم تفعلي سأذهب لسواكِ.
- حسناً، دعيني أفكر.

بعد يومين حددت لي موعداً.

قالت:

- متى ترك المنـــزل؟
- في 11 يوليو من العام الماضي.
- متى بدأ دفع النفقة؟
- أول أغسطس.
- ماذا عن شهر يوليو؟
- دفـــع رواتب العمالة المنـــزلية ووضع الظرف المعتاد لمصروف البيت كما عودني.
- نستطيع أن نطالبه بنفقة 20 يوماً من شهر يوليو على أساس أن لا إثبات على أنه دفعها.

- فليكن، أنا موافقة.
- إعلمي أن أتعابـــي ستكون ثلاثة أضعاف ما ستحصلين عليه كنفقة للعشرين يوماً.
- أعرف، وحلال عليكِ.

خـــرجت مـــن مكـــتب جهاد وأنا أتخيل وجه فارس حين يخبره ســـكرتير مكتبه بإشعار القضية، تخيلته غاضباً حانقاً يطلب من عروسه أن تحزم حقائبها ويعودا مسرعين، هذا إذا لم يرمِ عليها يمين الطلاق.

9

مر شهر عسل فارس عليّ ثقيلاً ومع أن إشعار القضية وصل مقر عمله بعد عشرة أيام إلا أنه لم يقطع سفره.

تبرع الثقلاء بنقل أخبار عنه وعن عروسه، لا أعرف أيها صحيح وأيها كان لمجرد إغاظتي.

تقول صديقة والدتي أم دعد:

- صادفناهم في هارودز في لندن ممسكا يدها وكأنه يخشى عليها أن تطير، اشترى لها شنطتين من كريستان ديور إحداهما جلد بلون أبيض والثانية من قماش الجينز مطرزة بخيوط بالزهري والأصفر والأبيض وظل يلح عليها ليشتري لها شنطة ثالثة ولكنها هزت رأسها بدلال.

أكملت بصفاقة:

- والله، الشنطة الجينز حلوة، اشتريتها لابنتي دعد بحوالي سبعمائة وخمسين جنيهاً إسترلينياً.

لا أذكر أنه أمسك بيدي في أي مكان عام، قلت في نفسي، كما لا أذكر أنه قبل يوماً أن يتسوق معي.

أردفت أم دعد:

- يقولون أن والدتها غير راضية وأن والدها أعجب بفارس جداً واقتنع برغبة ابنته فزوجها.

تبرع عبادي قريبـــي الناعم بالمعلومات التالية:

- صـــادفتهم في لندن بعرض المسرحية الموسيقية Ma Ma Mia ثنائـــي روعـــة، والبنت جذابة وحافظة كل أغاني المسرحية، تـــرددها مع الممثلات وتمايل، فستانها أعجبني أنا وصديقي حمـــادين، ولم يهـــدأ لنا بال إلا حين وجدناه على الانترنت كـــنت أقول له أنه كريستيان لا كروا Christian Lacroix وهو مصر أنه كنـــزو Kenzo، غلبته طبعاً وضحك ضحكة رقيعة مغطياً فمه بأصابعه ومردفاً: فارس طاح بربيع.

إن كانـــت هي الربيع، فماذا كنت أنا في حياته؟ صيف، شتاء أم خريف؟ تساءلت؟

تقول خلود صديقة سناء:

- لمحـــتهما في الـــشانـــزليزيه في باريس يتسكعان وهو يحتضنها ويمسح على شعرها فيما هي تتملص منه بغنج.

فـــارس المحافظ يمسح على شعر زوجته على الملأ!! يا ألطاف الله ماذا يحدث؟

علقت نهاد.

- يا ما نصحتك يا أختي، يا ما قلت لك بأن جلباب شيخ الغفر يقطع الخَلَفْ ولكنك مصرة، ها هو الرجل فرَّ وشرد ولينفعك جلـــبابك، يا ما نصحناك بأن صبغ شعر وجهك بالأكسجين يجعلـــه يطول ويصبح في الشمس بلون برتقالي مقزز ولكن لا فائدة.

هـــل الزى كان مشكلتنا؟ لو لبست مثلها هل كان سيقبل علي؟ أسئلة بلا إجابات.

قالت لي خالتي سمية:

- صادفتهما في فندق دو روسيه De Rossie الفاخر في روما، في الممر المؤدي إلى المصاعد، رأيته جالساً على كرسي وثير وهي في حضنه، لم أصدق ما رأيت، توقفت لبرهة لأستوعب، فنهضت هي من حجره خجلى فيما استمر هو ينظر إلي بتحد وكأنه يقول: ماذا تريدين؟ كانت ترتدي فستان أخضر بلا أكمام، طبعاً لم أسلم عليه بل رمقته بنظرة وركبت المصعد، فارس لم يعد فارس هذا ما قالته خالتي وأكملت:
- صادفتهم في اليوم التالي بمحل دولتشي غابانا في شارع Via De Condotti كانت تقيس أكثر من فستان على ما يبدو وكان معها في غرفة القياس وقد سمعته يمتدح جمالها في الفستان وحين تأكدت بأن الصوت صوته رميت الفستان الذي كنت أود شراءه لعرس ابنة صديقتي وتركت المحل ودمي يفور.

وقفت في الغرفة التي جمعتني وفارس، توجهت لخزانة ملابسي وفتحتها وإذا بها تحوي سبعة جلابيب بألوان الكحلي والرمادي والبني بدرجاتها، بضعة دراعات قطنية مصرية للبيت وبدلتين للمناسبات.

نظرت إلى الخزائن الفارغة التي كانت له، فتحتها واحدة تلو الأخرى.. هنا دشاديشه الصيفية وهنا الشتوية وهنا الربيعية، هذه الخزانة للبدل الرسمية يرتبها حسب ألوانها والخزانة الرابعة لملابس الرياضة والملابس العملية وهذه خزانة الأحذية.

وقفت عارية أمام المرآة أحملق في نفسي من رأسي حتى أخمص قدمي، من أين أبدأ؟

تساءلت، هل بعملية تجميل لصدري الأشبه بجوارب رياضية؟ أم العملية النسائية التجميلية التي أوصت بها الدكتورة ناهدة الولي من ثلاث سنوات؟ أم جلسات ليزر لإزالة الشعر من جسدي كله؟

أسررت لأختي نهاد.

فقالت:

- نبدأ بالعملية النسائية ثم رفع الصدر وبعدها لدينا متسع من الوقت للبقية وعموما إزالة الشعر بالليزر ستأخذ منك سنوات وضحكت مردفة: لن أساعدك أبداً إلا إذا قررتِ أن ترمي جلابيبك، فكل أموالك ستذهب سدى إن أصررت على هذا الزى الكئيب.

في الصيفية التي تزوج بها فارس عزمت أن أسافر إلى لندن مع نهاد لإجراء العمليات وللنقاهة على أن أترك البنات عند فارس.

اتصلت به للمرة الأولى من بعد طلاقنا لأبلغه فجاءني صوته جافاً:

- نعم.
- أهلاً فارس، كيف حالك؟
- نعم.
- سأسافر مع نهاد وأترك البنات عندك لمدة شهر ونصف وأريد أن أتفق معك على التفاصيل

فقاطعني بقسوة:

- بعد أن عرفتِ درب المحاكم التي كنت أحاول أن أتجنبها وأجنبك إياها والبنات من خلال تسوية سخية عملنا علي تفاصيلها لمدة عام كامل، رجاءاً لا تتصلي بي، كل ما تريدينه خذيه عن طريق المحكمة، بعد إذنك المكالمة انتهت.
- والبنات؟ قلت.

كان قد أقفل الخط.

لم أفهـــم رسالته، فناديت ضي وقلت لها اتصلي بوالدك وأخبريه أنك وأختك ستنتقلان للعيش معه لمدة شهر ونصف.

اتصلت ضي وسمعتها تقول:

- لا نريد أن نبقى عند خالتي سناء فابنتها لئيمة.
- ماما نورة لا تريدنا عندها، هي قالت ذلك لأمي.
- حسناً حسناً سأقول لها ذلك.
- مع السلامة.

نظرت إليها أحثها على أن تنقل لي ما قال:

- بابا أبلغني بأن نبقي إما عند خالتي سناء أو جدتي وقال أنه لن يستقبلنا إلا في الأيام المحددة للزيارة وبما أنك طلبتِ أن تكون الحضانة لديكِ ضمن التسوية، فتصرفي.
- ماذا يعني أتصرف؟ ألستم بناته؟

أجابت:

- والله لا أعرف، هذا ما قاله، أتصلي به واسأليه.
- هو نهاني عن الاتصال به.

ضحكت ضي وقالت:

- ربما خالتي يارا تغار عليه منك.

ســـافرت وتركت البنات يتنقلن أسبوعاً لدى أمي وأسبوعاً لدى أختي وكن يتصلن متذمرات، فأقول:

- اتصلوا بأبيكم وأقفل الخط.

كـــنت أتخـــيلهن ينكدن عليه وأنه سيرضخ ويأخذهن لديه في بيته وهناك قد يحتككن بالعروس مما يجعلها تطلب الطلاق فهي دلوعة يجرحها قماش فستانها ولن تتحمل بنات زوج، عندها سأكون أنا جاهزة ليعيدني

لعـــصمته، هل أريد أن يعيدني لعصمته بعد القصيدة إياها؟لا أدري لماذا أفكر بذلك؟ وأنا التي أدعي أنني تخلصت من الحياة الجافة معه؟ ربما أريده تعيسا نادماً؟ أتخيله يطلب السماح ويقول: سلوى سامحيني كانت غلطة، هل طلاقه مني غلطة أم زواجنا غلطة أم تركه للتنظيم غلطة أم انضمامي للتنظيم غلطة؟ لم أعد أميز الغلطات لكثرتها وتشابكها.

في لندن توالت مواعيدي الطبية، بدأتها بطبيب الأمراض النسائية، كهل أنجليزي سألني بعد أن فحصني:

- كم طفلاً أنجبتِ؟
- أثنين
- فقـــط! تـــساءل مندهشاً وأردف أنتن الخليجيات تفرطن في الإنجـــاب وتهملن أنفسكن لدرجة مريعة، ما هذه اللامبالاة؟ هـــل يعقـــل أن تكـــوني قد أنجبتِ مرتين فقط؟ ألم تسمعي بتمارين تقوية عضلات الحوض؟ لا أظنكِ سمعتِ بها فالرياضة لا تمـــثل جـــزءاً من حياتكن. المهم العملية هي الحل الأوحد لوضـــعك الحـــالي وهي عملية مؤلمة تتطلب "بنج كلي عام" وتـــواجد في المستـــشفى ليومين، وعليكِ أن تلتزمي بتعليماتي وبالأدوية الموصوفة متى تريدين إجراء العملية؟
- في أسرع وقت لأني سأجري عملية أخرى لرفع الصدر
- إذن بعد غد.

جـــاء يـــوم العملـــية وما أن تم غرس إبرة البنج في ذراعي حتى اخـــتلطت عليّ الصور أصبح للدكتور الكهل وجه أبـــي وللممرضة وجه أمي ثم لمحت وجه يارا ورحت في نوم يشبه الموت.

صـــــحوت في غـــرفة جمـــيلة في مستـــشفي ويللنغـــتون Wellington Hospital ثم غفوت فرأيتني أمتطي صهوة حصان يركض

بــــي في حدائــق غنّاء على مد البصر، الرياح تداعب شعري الذي تطايـــر، الهـــواء يملأ رئتي وكأنني أتنفس للمرة الأولى، في قمة سعادتي ســـقطت من فوق ظهر جوادي وإذا بـــي دون ساقين، رأيت فارس يحمل ساقيي ويعطيني إياها عارية إلا من الشعر، فاررررس صرخت.

وإذا بنهاد تهزني:

- سلوى أفيقي أي فارس نحن هنا لننساه

دخل الطبيب وأكد لي أن العملية ناجحة والشفاء مهمتي بإلتزامي بتعلـــيماته، من تناول المضاد الحيوي في أوقاته والمداومة على حمامات المـــاء المعقم، كما وصف لي بعض المسكنات للألم التي لم تسكن الألم كلياً.

مـــر أســـبوعا الشفاء بمعاناة إلا أنهما مرّا وما أن سمح لي الطبيب بمـــزاولة حياتي الطبيعية كما قال حتى توجهت لعيادة تجميل في هارلي ستريت Harley Street.

عـــيادة أنيقة استقبلتني بها حسناء أنجليزية سلّمتني لمرضة عجوز أعطتني ورقة وطلبت مني تعبئتها ببيانات ما أنـــزل الله بها من سلطان، ثم أدخلـــتني غـــرفة الفحص وطلبت مني خلع ملابسي قالت بالحرف الواحد:

- احتفظي بمنديلك إن شئتِ وأبقِ سروالك الداخلي وإنـــزعي ما سواه

استجبت لتوجيهاتها أيما إلتزام، نـــزعت ملابسي وأبقيت سروالي وحجابـــــي الأبيضين. دخل الطبيب وإذا به شاب في الثلاثينيّات من عمره يشبه أبطال السينما قال بحيادية:

- كيف يمكنني مساعدتكِ يا سيدتي؟

- أنا هنا لرفع صدري

- حسناً لنرى ما لدينا قالها وشرع يقلب ثديي بين يديه ويخططه بقلم أزرق وآخر أحمر

شرح لي العملية بالتفصيل وخطط لي الهالة المحيطة بالحلمة وكيف سيصغرها لتتناسب مع شكل الصدر الجديد، أصرّ على تصوير ثديي قبل العملية ليقارنه بما بعد العملية فانصعت مجبرة وأنا مملوءة بالهوان، لماذا لم أخلع حجابي؟ هذه الممرضة العجوز اللعينة لماذا أوحت لي أن أتركه؟ أتراها تسخر مني؟

خضعت للبنج للمرة الثانية خلال أسابيع فشعرت أني في دوامة تبتلعني وتهبط بي إلى درك له درك فأهبط وأدور وأهبط.

صحوت في غرفة الإفاقة وإذا بممرضة تبتسم لي، صدري مغطى بالأربطة البيضاء أغلقت عيني ونمت فرأيتني عارية بلا صدر هلعت و لم أتمكن من الصراخ.

هزتني الممرضة وقالت:

- لا بأس إنها كوابيس البنج كنتِ تنادين باسم معين ربما هو اسم ابنتك كلارا أليس هذا اسم ابنتك؟

أغمضت عيني لأتجنب الرد

نقلتني إلى غرفتي حيث نهاد تنتظرني هاتفة:

- أهلاً بـ باميلا أندرسون

خرجت من المستشفى في اليوم التالي للعملية واضطررت للامتناع عن الانحناء لمدة أسبوعين مرتدية حمالة صدر خاصة ليل نهار، في خضم الألم والمضادات الحيوية والدهانات التي كنت ألطخ بها صدري ومواعيد المراجعة كنت أتساءل:

- لماذا كل هذا العناء؟

سألت نهاد في لحظة ضعف فردت:

- للــــزوج القادم، أما فارس فذهب مع الريح وعشمك بعودته عشم إبليس بالجنة.
- هل أحبني يوماً؟ سألت نهاد:
- لا يهـــم، ما مضى قد مضى يا أختي والحياة أمامك وستلتقين بـــرجل يناسبك، فارس وأنت زواج غير منسجم، الكل كان يـــرى ذلـــك، سيرزقك الله برجل يناسبك ويسعدك قولي يا رب، الـــرجال كالفساتين قد يبدو الفستان جميلاً ولكن حين تـــرتدينه يظهر عيوب جسمك أو لونه يظهرك شاحبة مثلاً، هـــذا حالك مع فارس، هو قطعة جميلة ولكنه عليك لا يبدو جمـــيلاً وأنا مؤمنة بأنك ستجدين فستانا قد يكون أقل أناقة ولكـــنه حـــين ترتدينه سيظهر محاسنك وسيضفي لونه عليك حياة.

هـــل أأخـــذ الحكمة من فم نهاد؟ربما تكون محقة.. كيف سيبدو فـــارس حـــين ترتديه يارا؟ ألا يبدو كبيراً عليها مع فارق السن؟ هل سينعكس عليها شحوباً وانطفاء؟ كم أتوق لأن أراها.

10

عـــدت للكـــويت بـــزوج ثدي محسن، دخلت البيت الموحش وجلـــست مـــع بناتي لا لأسألهن عن أحوالهن بل لأعرف تفاصيل ما حدث مع أبيهن في غيابـــي.

- أمـــي لا تتركينا مدة طويلة، فالإقامة عند خالتي سناء مزعجة وماما نورة تململت منا. قالت مي.
- ماذا عن أبيكما؟
- كـــنا نراه في أيام الزيارة المحددة، اتصلنا به أكثر من مرة لننام عنده ولكنه اعتذر بانشغالاته.
- ماذا عن زوجته؟ سألت.
- تعود من وظيفتها في وقت متأخر، نكون فيه قد تناولنا الغداء، تجلس معنا بحدود عشرة دقائق ثم تدخل غرفتها.
- هي تتجنبكما؟

ردت ضي:

- لا، هي لطيفة أحضرت لنا مجلات مراهقين Sugar وTeen.
- هـــي تـــريد أن تسمم أفكاركما، أحضري المجلات الهابطة، مكانها سلة المهملات.

قالت مي:

- كما أهدتنا بعض العطور ذات الزجاجات الملونة.

- ألا تعرف أن العطر حرام، وأن المرأة إذا تعطرت وشمّ عطرها الرجال فهي زانية.

- ماذا تعني زانية؟ سألت مي.

- أي ساقطة وتدخل النار.

- ماما نورة تضع عطوراً تسبب الصداع، وخالاتي سناء ونهاد عطورهن نفاذة.

تلعثمت وقلت:

- ولكن أنتن بناتي وستتبعن ما أقوله أنا.

على ذكر ماما نورة استدركت ضي:

- لقد طلبت مني أن أحضر لها شعرات من مشط أو فرشاة خالتي يارا وقالت أنها ستعطيني خمسين دينار إن فعلت ولقد دخلت غرفتها بينما شاغلت مي أبي في الحديث وأحضرت بضع شعرات وضعتها في ظرف أبيض صغير. ماذا ستفعل به ماما نورة؟ بعد أن تقاسمنا الخمسين دينار أنا ومي وصرفناها أشعر بتأنيب الضمير، لأن خالتي يارا طيبة ولا نريد أن نؤذيها، كما أن بابا يبدو سعيداً معها لم أره بهذه السعادة.

- ليست طيبة، هي سرقت بابا منا.

- هل بابا محفظة يا أمي؟

- إخرسي ولا كلمة.

هل أمي لا زالت زبونة لدي باعة الوهم والشعوذة؟ لو كان نفثهم في العقد ينفع لما ضاع فارس من يدي؟ ولكن من يدري، ربما هي تتعامل مع مشعوذ محترف يعيد لي فارس أو على الأقل يجعله يطلق يارا؟ قلت في نفسي.

كم قرّبنا طلاقي؟

هاتفت أمي لأتأكد من خبر الشعرات فأكدت لي أن صاحبتها ستذهب إلى إيران قريباً وان هناك مشعوذاً مشهوراً، دفعت له ثلاثة آلاف دولار أميركي على أن يفرق بين فارس ويارا وأنه وعدها بأن عمله سيحقق هدفه خلال ثلاثة أشهر قمرية.

- هل سيعمل شيئاً ليعيدني لعصمته؟ سألت أمي.

قالت:

- بالتأكيد، هو عمل مزدوج، يجعله يكره يارا ويراها بصورة حيوان مقرف ويتشوق لرؤيتك، سأجعل رجليه تحفي في الجري وراءك يا ابنتي.

أخذتني الأماني وأنا أتخيله يعتذر ويبكي ويطلب الصفح.

في بيت أهلي لا نعرف الأسرار فكل شيء مشاع وبالطبع انتشر خبر الشعرات وساحر إيران لان ضي قالت لنهاد التي قالت بدورها لسناء وكان هذا الحوار:

- وفري أموالك يا أمي واتركي عنك هذا الدرب الذي لا يؤدي إلى نتيجة قالت سناء، والله لو تدفعين ما وراؤك وما دونك لا يوجد سحر يغيّر أمر الله.

- ما فات مات، دعيها تبحث عن نصيب جديد صرّحت نهاد.

- لماذا تسكتين يا مؤمنة، يا أم الإخوان المسلمين، وجهت سناء كلامها لي، أليس السحر حراماً؟ وإلا أنتم كما يقول عنكم أبي كلكم منافقون ومحتالون.

هذا الحوار جعلني أدرك أن علي فعل المزيد وعدم الاعتماد على الزمن وسحرة أمي، فتفتق ذهني عن خطة.

وقفت على ناصية الشارع المؤدي إلى بيت فارس وعروسه، كان هناك حلاق رجالي أعطيته عشرين ديناراً وسألته:

- ما هي جنسيات العاملات في بيت فارس الفوّاز؟
- فلبينيات.
- هل يخرجن في إجازة؟ ومتى؟
- إحداهما تخرج يوم الأحد والأخرى يوم الجمعة حتى لا يكون البيت بلا عمالة في يوم واحد.
- من تنصحني أن أسأل منهما؟
- التي تخرج يوم الأحد أصغر سناً وقد تفيدك.

أعطيته عشرة دنانير إضافية ومضيت.

يــوم الأحد، انتظرت خروج العاملة الساعة الثانية ظهراً كما وشــى لي بذلك الحلاق الباكستاني، لمحتها تخرج من البيت ببنطلون جينــز ضيق وتي شيرت باللون الأحمر متجهة إلى الشارع الرئيسي حــيث محطــة الــباص، تبعــتها إلى المحطة وأوقفت سيارتي وقلت لها:

- اركبــي سآخذك إلى وسط البلد قرب الكنيسة.
- لا شكراً قالت بتردد.

مددت لها يدي بعشرة دنانير وقلت لها: اركبــي.

ركبت وهي ترتعد.

- لا تخــافي لــن أؤذيك، أنا أعرض عليك فرصة عمل، تعطيني بعض المعلومات وأدفع لك مبلغاً يعادل الراتب الذي تستلمينه من عمل شهر كامل.
- أي معلومات؟ سألت.
- عن البيت الذي تعملين به.

- رب عملي إنسان يعاملني بلطف ولن أخونه.
- ليست خيانة، مجرد معلومات غير مضرة.

لقاءاتي المتكررة بسوزانا - هذا اسمها - كل أحد كونت لدي صورة عن طريقة حياتهما معاً، قالت بأن سيدها تجلب الزهور بشكل أسبوعي كل سبت تحديداً وتوزعها على مزهريات في كل أنحاء البيت، كما أنها تطبخ بنفسها في عطلة نهاية الأسبوع.

طلبت منها أن تقطع لي الشارة الملصقة بأحد قمصان نومها لأعرف نوعيتها، فأحضرت لي شارة La perla

- هذه ماركة باهظة الثمن، قلت: كم عدد القمصان تقريباً من هذه الماركة؟
- أظن أغلبها.

لم أصدقها، وطلبت منها بعض الصور، في الموعد الذي يليه أحضرت لي "فيلم" أخذته للمصور وإذا بصور لمزهريات الزهور الموزعة في المنزل وكأنها على وشك استقبال ضيوف مهمين، تأكدت منها أن هذا الأسبوع لم يزرهم احد سوى والد يارا الذي يزورها دائماً، إذن لمن كل هذه الورود؟ كما أحضرت لي صور قمصان نومها الحريرية. استعرضتها وأنا أكاد لا أصدق، فأحدها كان بلون القشطة وبدانتيل باللون ذاته يغطي الصدر إلى الخصر ومن ثم ينساب الحرير ويتسع بحواشي من الدانتيل وفتحه إلى منتصف الفخذ، كان رداء نومها ببساطة أفخر من فستان زفافي.

الثاني كان بلون ذهبي باهت، حريري ومشغول بالدانتيل وقماش الشيفون الشفاف، هل تخرج بهذه الأطقم؟ تساءلت، هل تستقبل الناس بهم؟ أم فعلاً تلبسهم لفارس فقط؟

ذهـــبت لمحل لابيرلا في مجمع زهرة واخترت أحد قمصانها ولكن بلـــون آخر حيث لم أجد اللون ذاته، ارتديته ونظرت لنفسي في المرآة فأعجبني ما رأيت، طلبت من البائعة أن تلفه لي لأني سأقتنيه.

عند الكاشير ذهلت حين قالت: مائة وثمانين دينار.

- لماذا؟ سألت دون تفكير.

ابتـــسمت الـــبائعة فارتـــبكت وأخرجت بطاقة ائتماني، دفعت وخرجت من المحل حاملة الكيس وأنا حانقة على تلك اليارا.

أمي ترتدي أفخر الثياب الخارجية، لكنها عودتنا أن نلبس ملابس نوم وملابس داخلية رخيصة أو على الأقل مناسبة، ماركس أند سبنسر مثلاً، من تظن نفسها هذه اليارا؟ الأميرة ديانا؟

تـــوالت لقـــاءاتي كـــل يوم أحد بسوزانا، وكلما التقيتها تذكي المعلومات التي تنقلها لي النيران داخل قلبـــي، وكلما احترقت أتشوق للمزيد، لماذا يا ربـــي هذا العذاب؟

عرفت منها أن سيدها تجعل العاملات ينمن في غرفة خارج البيت في الفـــناء وأنهـــا من الساعة السابعة والنصف تقفل باب البيت عليها وعلـــيه، كما عرفت منها أنها تطلب منهم تحضير الشاي أو القهوة أو العصير أو إشعال فحم للبخور ولكنها لا تسمح لهم بتقديمه لسيدهم بل هـــي تتولى هذه المهمة، كما عرفت أن لديها كوافيرة تحضر يوما بعد يـــوم لتصفيف شعرها في الصباح الباكر قبل أن تذهب إلى مقر عملها وأحـــياناً تحـــضر كل يوم إن كانت مدعوة لعرس. تضع لها ماكياجها أجنبية بيضاء من سكان جنوب أفريقيا ثم تتولي الكوافيرة عمل شعرها.

- من يأخذها للعرس؟ سألت

- السائق. أجابت.

ارتحت، فلو كانت إجابتها فارس لارتفع ضغطي أكثر.

صـــورت لي سوزانا خزانة ملابس السهرة، أطلعت أمي عليها لأهـــا أعلم مني بتصاميم بيوت الأزياء، شهقت بين صورة وأخرى مرددة:

- مصيبة صابتها بنت اللذين.

علّقت هاد التي لم ننتبه لدخولها علينا لشدة اندماجنا.

- "اللذين آمنوا وعملوا الصالحات" دعوني أرى الصور وأخذها مـــن يد أمي مردفة: بالضبط بالضبط، الخالق الناطق الهلاهيل الـــتي تـــرتدينها يا أختاه، والله أنا سعيدة من أجل فارس، الله فـــتحها عليه وعقبال ما يفتحها علينا كلنا. هل لديكم المزيد، أشعر أنني أتصفح مجلة فوغ Vogue أو إل Elle للأزياء، والله البنت ذوقها عالي، أحببتها.

- حـــبك الدود والعقارب السود، أجابت أمي نيابة عني، خلي عندك إحساس بدل أن تقفي مع أختك في محنتها.

- أي محـــنة يا أمي؟ هل صدقتم أنفسكم؟ سلوى طلبت الطلاق ثم أطلقـــت إشاعة نبهت فيها فارس وربما دفعت يارا للانتقام مـــنها بالـــزواج مـــنه والـــيوم هي ترشي خادمته من أجل معلومات! وقوفي مع أختي هو في أن أمنعها من هذه التفاهات التي تضرها ولا تنفعها، ماذا لو علم فارس بأمر الخادمة؟

لم أفكر في أمر أن يعرف فارس إلى أن جاء موعدي الأسبوعي مع سوزانا، قالت لي بنبرة قوية:

- أنا بحاجة لنقود، أريد بدل العشرة دنانير التي تعطيني إياها كل أحد ثمانين دينار الآن وإلا سأبلغ سيدي فأنا عرفت من أنتِ؟ فـــتحت شنطتها وأخرجت صورة شخصية لي قياس 4 × 6 سم وأردفت وجدتها في محفظة ابنتك مي، فعرفت أنك والدتها

أي أنـــك طلـــيقة ســـيدي وتسعين لأن تؤذيه هو وزوجته الجديدة، إما أن تدفعي لي وإلا سأشي بك.

تملّكـــني الخوف ففتحت محفظتي فوجدت خمسين ديناراً، أعطيتها لهـــا فأصـــرت على المبلغ الذي طلبته مما جعلني أذهب إلى أقرب بنك وأسحب لها مبلغاً وأعطيها إياه ثم أخذتها إلى مكان تجمع الجالية الفلبينية وسط البلد وأنا أشعر بالمهانة.

لماذا؟ قلت لنفسي، لماذا أضع نفسي في مثل هذا الموقف؟ ما الذي استفدته؟ فأرد على نفسي: عرفت ما الذي يجذبه أو على الأقل أنا في طريقي لأن أعرف.

11

استـــمر تبرع الخبثاء بالمعلومات التي تشعل غيرتي، تقول لي ابنة خالتي وردة في مناسبة عائلية:

- صـــادفنا فارس وعروسه في حفل محمد عبده ضمن مهرجان هـــلا فبرايـــر يجلـــسان في الصف الثاني بالمنتصف وهي آخر انـــسجام مع الأغاني بينما هو لم يرفع عينيه عنها، تلتفت إليه وتهمس في أذنه بين أغنية وأخرى فيتضاحك.

تبرع عبّادي الرقيق بالتعليق:

- كأنـــه محـــبوس وتم إطلاق سراحه، الرجل طاير من مسرحية موســـيقية في لندن إلى حفل محمد عبده إلى أسفار ومطاعم، خيراً فعل فآخر العمر موت.

تتبرع قريبة أخرى:

- يـــارا زارت البنك الذي يعمل فيه زوجي وقدمت عرضاً لهم وتركت انطباعاً لديه بأنها متحدثة لبقة وذكية وأنيقة.

قفزت أخرى:

- بـــنت عم صديقتي تعمل في إدارة الحاسب الآلي في الجهة التي يعمـــل فـــيها فـــارس وحين واجه مشكلة مع جهازه ذهبت لتصلحه وإذا به يضع صورة زوجته في إطار على مكتبه وكأنه يشتاق لها حتى وهو في المكتب.

- وبناتي سألت حانقة؟
- سأســـألها إن رأت صورة للبنات على مكتبه؟ وإلا سننتظر إلى أن يحدث عطل في حاسوبه، فضحك الحضور.
- هل يهتم بالبنات؟ سألت إحداهن.

فأجبت بحدة:

- أبـــداً، قلتها كما قلت أن فارس يحب في الجلسة العائلية ذاتها مـــنذ عدة أشهر، لم أنتبه حينها إلى أن أكاذيـــي تتحول إلى واقع بقدرة قادر.

دخلت أم دعد متأخرة وما أن جلست حتى قالت:

- حـــسبـــي الله ونعم الوكيل بأهل فارس، هل سمعتم أن أخته مـــضاوي أقامـــت حفـــل استقبال في بيتها للعروس الجديدة ودعت كل الأهل والأصدقاء الذين تقاطروا يدفعهم الفضول، بـــنت صديقتي ذهبت وعادت لي بالأخبار، تقول بأن العائلة ســـعيدة جـــداً بالعروس بل ومتعاطفون معها بسبب مقاطعة والدتها لها.

مـــا أن عدت من اللقاء العائلي حتى اتصلت بزوجة أخ فارس، لم يكـــن لدي سيناريو مسبق للحوار ولكن أردت أن أمد جسور الوصل معها.

- السلام عليكم أم عبد الوهاب.
- وعليكم السلام، هلا هلا أم ضيّ.
- يـــا أم عـــبد الوهاب أنتِ امرأة عاقل ولا ترضين بما حصل، فـــارس طلقني من أجل بنت تصغره بخمسة عشر عاماً وهذه البنت ما فتئت تلاحقه بالاتصالات وبالدلع إلى أن تركني.
- لا يا سلوى لا تحطين بذمتك.

- قسماً بالله يا أم عبد الوهاب هذا ما حصل واليوم مضاوي والعائلة يحتفون بها.
- لكنك يا سلوى شوهتِ سمعة والد بناتك وتكلمتِ بالسوء عن عائلته كما أنك رفعتِ عليه قضية وهو في شهر العسل، كلنا غير راضين عن تصرفاتك بكل صراحة.
- من حرارة ما بقلبي يا أم عبد الوهاب، والله صدّقيني أن مضاوي تود لو تزوج زوجك عليك.
- لا، مضاوي تحبني وليس لدي أدنى شك في ذلك..
- يبدو أنك طيبة مثلي، وستنبئك الأيام عن نواياها.

دخل الشك في قلب المرأة فبادرتها:

- طلاقي من فارس لا يعني قطع صلتي بكم بل على العكس أنتم ونعم الناس، اعتبرتكم أهلي وزوجك عم بناتي.

اتصلت بزوجة أخيه الأخرى وكان الحوار أسهل لأنها من الجماعة ووالدها من أبرز وأهم رجال الحركة:

- السلام عليكم أم محمود.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، حيا الله سلوى، كيف حالك حبيبة قلبي والله اشتقنا لك.
- الحمد لله على كل حال، اتصلت بك لأسأل عنك فمهما حدث تبقى لكم مكانة عندي.
- والله يا سلوى أنني حزينة من أجلك ولا أعرف ما الذي حدث لفارس. حسبي الله ونعم الوكيل. الأسبوع الماضي دعتنا مضاوي لاستقبال على شرف العروس لتعرفها على العائلة فذهبت لأن أبا محمود أصر علي ولقد رأيت ما ساءني.

- يعلم الله عن مكانتك في قلبي يا أم محمود.
- عروسه غير ملتزمة بالحجاب، كيف يترك ذات الدين؟ وقد حسبت أنه سيحجبها بعد الزواج ولكن حين سألت قيل لي لن يفعل، أي قدوة تحملها هذه البنت لبناتنا، آخ لو رأيتِ كيف تحلقتِ حولها بناتنا الصغار من عمر العاشرة إلى العشرين وكأنهن يحظين بممثلة والعياذ بالله.
- انتبهي لبناتك منها فلقد أحضرت مجلات مراهقين أجنبية فاسقة لبناتي.
- أعوذ بالله، لقد حذرت بناتي.
- وانتبهي لزوجك فربما يشجعه فارس على أن يخوض تجربة مماثلة خاصة وأن مضاوي تكرهنا جميعاً.
- مضاوي لا تطيقني، وهذا شعور راسخ لدي، وكلما قلت هذا الكلام لزوجي يؤنبني وها أنتِ أكدتِ هذه الحقيقة.

تعمّقت علاقتي بزوجات أخوة طليقي، يغذي بعضنا عُقد بعض، أسمع منهن الأخبار وهم يثون مخاوفهن وقلقهن وحتى كرههن لأهل أزواجهن وغيرتنا من يارا هي العامل الرابط بيننا.

تقول أم محمود:

- في غداء عائلي، لم تقبل بنت الأكابر بأن تجلس معنا على الأرض لأن فستانها قصير، فجلست على طاولة لوحدها بينما افترشت العائلة كلها الأرض، وحين يقدم لها الأكل تتذوق ملعقة وتترك الباقي، أما فارس فيحرسها وكأنها طفلة في سوق.

أجابت أم عبد الوهاب:

- لأن الغداء كان في بيتي جاملتها وسألتها أي نوع من الحلو تريد فردت: شكراً لا أحب الحلويات. تريد أن تبين لنا أنها

رشـــيقة وحـــين قدمت لها ابنتي ثماني الشاي ردت بابتسامة شكراً لا أشرب الشاي! هل تعيش على الماء والخس؟ هي لا تتكلم، توزع ابتسامات وتتبادل النظرات مع فارس، لا أعرف سر هذا الصمت؟ هل هو تعالٍ؟ ألسنا قد المقام لتحدثنا؟

ردت أم محمود:

- هـــي خبيثة، وسكوتها ينم عن أنها تريد أن تفهم محيط العائلة، فهـــي تراقب بصمت مريب وترد على الأسئلة الموجهة إليها بكلمـــات قلـــيلة وكأن الكلام بفلوس، مضاوي تقول: أنها تستحي ولو كانت تستحي لاستحيت من فستانها القصير، لا مـــن الكـــلام معنا، مجرد لعبة جديدة سيمل منها فارس قريباً وسيعرف قيمتك.

ابتسمت بانكسار لاستحث المزيد من التعاطف منهما، هل أريد أن أعود لفارس؟ سؤال محير.

12

خروج فارس من حياتي ترك فراغاً رغم أننا لم نكن نقضي أوقاتاً معــاً، وفي السنوات الأخيرة لم نعد نتبادل حتى الكلام، لكنني شعرت بعده بالضياع والخوف.

كان هو غطاءاً جيداً وحين رحل أحسست بأنني في العراء، أقف أمــام مــرآتي وأردد ما تعلمته في دورات البرمجة اللغوية العصبية: أنا قوية.. أنا ذكية.. أنا أستطيع فأشعر أن المرآة تسخر مني وترد علي:

أنــتِ مهزوزة.. أنتِ غبية... أنتِ عاجزة، هذا التغير المفاجئ في سير حياتي أربكني، ما هي الخطوة القادمة؟

نهــاد تقترح أن أتزوج، سناء تقترح أن أهتم ببناتي، وأمي تقترح أن أنتظــر مفعول أعمال الشعوذة التي ستعيد حياتي كما كانت، هل ممكــن أن نعــيد الشريط إلى مرحلة زواجي من فارس وأن أغير تلك النقطة التي طلبت فيها الطلاق؟

مــاذا لــو أنــني قــرأت تلك القصيدة واعتبرتها تخاريف شاعر ومــضيت؟ هــل كنا سنحيا بسلام؟ نعم بالتأكيد، ربما كنت الآن قد أنجبت صبياً! هل كان فارس يتمنى صبياً! ماذا عني؟ ماذا أتمنى؟

مــضيت في درب التغــيير الــذي بدأ بعمليات جراحية ترميمية وتــولت نهــاد أمر استبدال جلابيبــي بما يشبه بنجابــي الآسيويين، ذهبت معها لخياطتي في مجمع زهرة وتولت هي الشرح.

قالت نهاد وهي تضحك:

Listen to me no more Salwa's Ugly uniform.. her husband divorced her..we want new style

ردت الخياطة الفليبينية بصفاقة وبرود:

Sorry to hear that …what is the new style you tell me

فشرحت لها نهاد أن الخطوة الأولى عبارة عن بنطال واسع وشيء يشبه الجلباب ولكن أقصر منه يصل إلى منتصف الساق بفتحات على الجانبين لتسهيل الحركة، بألوان وتطريز وأقمشة أجود، لم تكن نهاد تمتلك حساً مميزاً ولكنها على الأقل أفضل من ذوقي فاستسلمت لها.

أول طقم جهز كان باللون الأحمر وموشي باللون البني الفاتح مع بنطال باللون البيج ارتديته وذهبت إلى العمل، كانت همسات الزميلات تدور حولي وأعينهن الضاحكة تلاحقني، ماذا يردن؟ هل حلال عليهن أن يرتدين ما يشئن وحرام علي أن أنزع عني الجلباب؟ ارتبكت.. طلبت إذن انصراف مبكر وذهبت إلى بيت أهلي.

نهاد تشرب قهوة الصباح مع أمي وتثرثران.

ما أن رأتني حتى ضجت بالضحك:

- الله يغربل ابليسك يا سلوى، كأنك "صالحة الميمونة" التي ترقص مع فرقة عودة المهنا(*) مع الحجاب الأبيض أبو ربطه وأحمر وبني، أبدعتِ.
- لم نتفق أن أغير حجاباتي.
- أحمر وبيج، توقعت أن يكون حجابك بيج.
- أو أحمر قلت لها.

(*) فرقة عودة المهنا من أبرز الفرق الشعبية.

- لا، بيج.

هنا قالت أمي:

- إن جاءت نتائج العمل الذي قمنا به في إيران، يجب أن تخلعي الحجـــاب وخلاص يبدو أن فارس لم يعد يحب الحجاب من الأساس.

قلت وأنا أغالب دموعي:

- أمي، هذا كان اقتراح نهاد، ولقد وافقتها والآن زميلات العمل يسخرن مني ويتغامزن وحتى نهاد تضحك، ماذا تريدون مني؟ تعبت والله تعبت.

خرجت مسرعة وأخذت ألف في الشوارع والدموع تتساقط من عـــيني، لا أعرف كيف أخرج من سجن الجلباب ولا أدرى إن كنت أريد أن أخرج أم أنه مريح؟

أشعر أن عاصفة غبارية تلف روحي ولا أرى أمامي، ماذا أريد؟ ماذا يريد مني الآخرون؟

في اليوم الذي يليه عدت لجلبابـــي وسط نظرات الاستغراب من زمـــيلات العمـــل، قابلت تلك النظرات بلامبالاة وكأن شيئاً لم يكن، جرح جديد يضاف إلى جراحي.

في الـــيوم نفـــسه عـــصراً اتـــصلت بـــي نهي رفيق الله وبدت منـــزعجة.

- السلام عليكم سلوى، كيف الحال؟

- عليكم السلام، أهلاً نهى.

- الله يهدينــا وإياك يا سلوى، ما الذي سمعناه مؤخراً؟ تناقلت زمـــيلاتك في العمـــل الحديث عن أنك حضرت بلبس ملون أحمر ثم عدت في اليوم الذي يليه للجلباب.
- من نقل لك الخبر؟
- ضياء المازن سمعت من أخت زوجها وسألتني.
- ضياء تريد محاربتي لأنها قريبة يارا، لذا قولي لها بدل أن تنتقدني لتنتقد قريبتها.
- أذكري الله يا سلوى أنا صديقتك ولا أريد إلا مصلحتك والله يعلم أنه يسوؤني أن يمسك ضرر، ما الحكاية؟
- لا حكاية، أنا حرة في لباسي ألبس جلباب، ألبس باراشوت، ألبس بيكيني لا شأن لأحد بـــي.
- تعوذي من الشيطان الرجيم يا حبيبة قلبـــي.
- ماذا تريدين الآن؟ سألتها بصوت عال.
- أريد منك أن تهدئي ولا تخسري كل شيء، الله هداك للحجاب والالتـــزام وأصبحت جزءاً من جماعة الإخوان المسلمين مما يعني أنك امرأة دعوة وإصلاح، أقدّر أن الطلاق مؤلم وأقدّر أن زواج فارس مجدداً مؤلم أكثر ولكن هذا ابتلاء من رب العالمين، والله لا يبتلي إلا من يحب والله يحبك يا سلوى ونحن نحبك في الله.
- العلاقات الأسرية أهم من الجماعة لديكن بدليل موقف ضياء وحصة.
- اســـتهدي بالله يا سلوى ولا تعلنيها حرباً على الجميع، فارس طلقك نعم ولكنه لم يكفر بذلك وزواجه مجدداً حق مشروع ونسأل الله أن يهدى زوجته الجديدة للحجاب على يده، كما أن زواجـــك أمر مشروع وواجب وكما رتبنا لك زواج من

فارس تأكدي أننا لن نتخلى عنك وسنختار لك زوجاً صالحاً بإذن الله، استعيذي بالله من الشيطان وعودي سلوى الطاهرة الـــرزينة ذات الجلباب الواسع، ثم إن فارس لا يعنينا لأنه ترك التنظـــيم وكمـــا يقـــول أبو مصعب أن علاقاته فترت بكل الإخـــوان، أنت مهمة بالنسبة لنا ولا نرضى لكِ بأن تكوني مثار انتقادات فسمعتك من سمعتنا.

انتهت المكالمة دون وعد مني بأي شيء.. وتجاذبتني الأفكار، هل التنظـــيم يقـــدم لي مـــا أريد اليوم أم أنني أود الانطلاق إلى فضاءات أرحب؟ هل سأقبل أن يبحثوا لي عن زوج أم سأجده بنفسي؟ ماذا لو دبسوني بزوج مثل فارس لا يحبني؟

لم أكـــن يـــوماً مهمة في الحركة ولم أتول أي منصب في اللجان النـــسائية المؤثرة كنت دائماً ثانوية ووجود ضياء وحصة يضايقني كما أن موقـــف هناء النمري أيضاً لم يكن بمستوى طموحي، حيث لم تقبل أن أتكلم عن يارا وأسكتتني قائلة.

- تعوذي من إبليس والزواج قسمة ونصيب والله يعوضك.

تذبـــذبت علاقتي بالجماعة، فيوم أقبل عليهم وانصاع لما يريدون وأشعر بالدفء والأمان وأنا معهم ويوم أشعر أنهم قيد وأفضل التحرر منه ومع تذبذب علاقتي بهم تذبذب مظهري، ألبس الجلباب في الصباح للعمـــل ثم اذهب إلى مقهى مع صديقة مرتدية أحد الأطقم من تصميم نهاد مع الاحتفاظ بالحجاب الأبيض إياه.

أصحو مع الفجر أتوضأ وأصلي أدعو بخشوع:

اللهم أجرني في مصيبتي هذه واخلف لي خيراً منها.

أصلي الظهر جماعة في مقر عملي مع الزميلات، وحين أعود إلى بـــيتي البارد أجلس على طاولة الغداء مع البنتين فأتذكر والدهما الذي

مضى وتركنا فأحنق عليهن وعلى القدر وأتناسى صلاة العصر والمغرب وقــبل أن آوي إلى فراشي المهجور أصلي العشاء والشفع والوتر وأرفع يدي بالدعاء:

اللهم انصرني على من ظلمني وأرني فيه ثأري.

أضع رأسي على مخدتي وأتساءل، من ظلمني؟ أغفو فأرى أبــي في حالة سكر يرقص مع شباب نادي اليخوت وأرى عقاب يهرب مني ويلحقه فارس وأنا أركض خلفهما وأنادي: عقاب، فارس، عودا.

أسقط على الأرض فتنكشف ساقي وإذا بها كساق غوريلا مليئة بالشعر فأفزع من نومي.

13

خالة عواشة شخصية استثنائية في محيط عائلتي، إنها نموذج للمرأة التي تأمـــر فتُطاع، استطاعت في مشوار حياتها السبعينية أن تحقق كل ما تريد وأن تحصل على كل ما تتمنى بالإصرار وسلاطة اللسان وشيء من الحظ.

هـــي مـــثال لطليعة النساء اللواتي درسن في الخارج، تكره الدين والمتدينين وتبحث عن الظهور بكل شكل ووسيلة كانت.

أقامت خالة عواشة وليمة غداء لنساء العائلة، ذهبنا كلنا يتملكنا الفضول لأنها غالباً ما تجمعنا إما لنشر خبر أو إشاعة أو رص الصفوف لإحدى حروبها المزعومة، شعوري تجاهها كان دوماً شعوراً بالإعجاب الحـــذر، كم تمنيت لو أنني ملكت بعض قدراتها وصلابتها اللا محدودة، ورغـــم لـــسانها الحاد إلا أن الجميع يعاملها معاملة طيبة ويخشاها ولا نتكلم عنها بسوء إلا من وراء ظهرها وبصوت منخفض.

في فترة طلاقي الأولى، شاع خبر طلاق خالة عواشة حيث مرض زوجها وظنت بأنه سيموت، فحولت الكثير من ممتلكاته إلى اسمها وفق توكـــيل رسمـــي مـــنحها إيـــاه، لم يمت الزوج لسوء حظها بل تعافى واكتـــشف مـــا فعلت فألغى التوكيل وقرر تطليقها ولكن نظراً لقوتها وخوفه منها طلقها وسافر إلى منتجع في ألمانيا بدعوى العلاج، فما كان مـــن المـــرأة الحديدية إلا أن استقلت أول طائرة ولحقت بطليقها ولا نعرف ماذا حدث هناك إلا أنهما عادا معاً يداً بيد.

وحين يسألها أيا كان عن طلاقها تقول بأنها إشاعات من الحساد والعذال والمغرضين.

بعـــد أن فرغنا من الغداء وجلسنا لنشرب الشاي والقهوة والحلو وقفت كما تفعل في الندوات التي تشارك بها وقالت:

- أريـــد أن أحيطكن علماً بأن هناك حملة ضدي في نادي الصبايا لإخراجي من رئاسة النادي تقودها شيخة من الأسرة الحاكمة، تـــريد أن تستحوذ على منصبـــي، أنا التي أسست هذا النادي قـــبل ربع قرن وجعلته صرحاً مُشرّفاً يشار له بالبنان، لذا فإني أطلب منكن جميعاً أن تسجلن في النادي لدعمي في الانتخابات المقبلة، ولن أقبل أي عذر من أي واحدة منكن كبر عمرها أو صـــغر بـــل سأعتبره تخاذلاً والحاضر يبلغ الغائب، هذا وأريد متطوعـــتين مـــنكن للانضمام لقائمتي التي تضم د. ريما غلوم وأماني العوام وعواطف البهلول ودينا الفيصل وينقصنا اسمان.

مـــا أن سمعـــت اسم دينا الفيصل حتى تذكرت أنها صديقة يارا الحميمة في ثانوية قرطبة وهنا صرخت بدون تفكير.

- أنا أتطوع لأخوض الانتخابات معك في قائمتك.

فوجئت خالة عواشة وقالت:

- مع حجابك هذا، لا مشكورة.

لم أتـــضايق فلقد تعودت هجومها على حجابـــي هي التي تعتبر نفسها ضد المتدينين لذا قلت لها:

- مـــا شـــأن حجابـــــي؟ أنتِ تريدين أسماء لإكمال قائمتك وهـــدفك النجاح في الانتخابات، أنا باستطاعتي أن استقطب بعض الأصوات من المحجبات وربما من جماعة الإخوان.

صمتت، وصمتها أنبأني أن الفكرة بدأت تروق لها فأكملت:

- جربيني.

يبدو أنها كانت يائسة، لذا وافقت على مضض.

وعندها قالت سناء:

- لــو تلتفــتين لبناتك أحسن من انتخابات نادي الصبايا، ماذا ستستفيدين؟

لا تعــرف سناء مدى استفادتي، سأثبت وجودي خارج التنظيم الذي يضيق علي كما أنني سأقترب من دينا الفيصل وهي صديقة يارا وهذا بحد ذاته فائدة.

غيّرت نهاد مكانها وجلست بقربــي.

- أنــا مو مضحكني إلا نادي الصبايا وخالة عواشة سبعين سنة، إذا هــي تمثل الصبايا فماذا عن نادي العجائز؟ كم أعمارهن؟ أم أن المنتسبات كلهن من الأموات!

أجبت دون تفكير:

- ألم تــسمعي خالة عواشة؟ دينا الفيصل ستكون ضمن القائمة التي ستخوض الانتخابات معنا إن قبلت ضمي.

- لا أعرف دينا.

- صديقة يارا الحميمة.

- الحمد لله والشكر، الله يخلف عليك، جننتي رسمياً، امرأة تخسر زوجها وتحاول تكسب صديقة زوجته، لا أنتِ وأمي جننكم فارس، أنتِ تلاحقين زوجته وهي تلاحق السحرة، منك لله يا فارس.

انتخابات نادي الصبايا استحوذت على وقتي وتفكيري وجهدي لمــدة شهرين مما خفف من الضغط النفسي، انشغلت بالتأكد من أسماء

المنتسبات من مؤيدينا والاتصال بكل من نعرف للانتساب كما توليت دفع الاشتراكات بأموال دفعتها خالة عواشة.

طــوال فترة عملي لم ألتق بدينا، أذهب إلى كل اجتماع تدعو له خالة عواشة وأنا على استعداد للقائي بدينا.

أقف أمام مرآة غرفتي وأقول:

هلا دينا، ما شاء الله تبدين بأبهى صورة.

لا... لا

دينا صحيح هذه الدنيا صغيرة، كيف حالك يا حبيبتي؟

لا.. لا

هل أظهر أنني لم أذكرها في البداية ثم أقول:

وجهك مو غريب، هل كنتِ تدرسين في ثانوية قرطبة؟

لا.. لا

لم أصل إلى الطريقة المثلى للسلام على المفعوصة صديقة ابنة إبليس.

و لم أصادفها.

قــبل الانــتخابات بــشهر اتصلت بنهى رفيق الله التي كنت قد انقطعت عنها زمناً، طلبت منها المساعدة والدعم لي في انتخابات نادي الصبايا فجاء ردها حاسماً:

- اسمحــي لي يا سلوى، التنظيم لا يتم تسخيره لرغبات الأفراد بل على الأفراد أن يخدموا التنظيم ليحظوا بدعمه، تريدين أن تخوضــي انــتخابات نادي الصبايا مع شخصية ليبرالية تكره الــدين وأخــري شيعية لها طموح سياسي وابنة وزير سابق نــشطة في مجــال إقرار حق المرأة السياسي، أنتِ تعرفين أن موقــف الجماعــة من حق المرأة السياسي لا يزال غير محدد. وتــريدين منا أن ندعمك؟ هل يعقل أن تبتعدي عن التنظيم

وتغـــيري مـــن لباسك وتنتشر عنك الأقاويل التي تسيء لك وتسيء للجماعة ثم تتوقعين أن ندعمك!

- ما نوع الأقاويل؟
- كثيرة بدءاً من أنك شوهدتِ تمتطين الخيل بمعية شبان في نادي الـــيخوت! إلى خروجك للمقاهي بصحبة رجال؟ إلى لباسك الذي حذرتك منه ومن تذبذبه؟
- كـــنت فارسة في صغري وقبل زواجي من ذلك الرجل الذي أســـأتم اختـــياره لي، كمـــا أن الشبان هؤلاء أصدقاء النادي في الماضي، أما المقاهي فكلها بصحبة زملاء عمل وفي وضح النهار، واللباس أمر خاص، أنا محتفظة بحجابـــي الأبيض ولن أتخلى عنه.
- الله يهديك.
- لقد وعدتموني أن تكونوا لي أهلاً وعزوة.
- بـــشروط الالتزام بالتنظيم ومراعاة مصلحته أولاً وأخيراً، أنت اليوم عبء وضررك أكبر من أي نفع.
- ماذا يعني ذلك؟
- يعني ان خوضك الانتخابات سيكون آخر عهدنا بك، فكري وراجعي نفسك ويبقى القرار قرارك.
- خذي قراري الآن، سأخوض انتخابات نادي الصبايا وبلطوا البحر.

هل أنهيت علاقتي بالتنظيم الذي جمعني بفارس وفرقني عنه؟ لو كنت تـــركتهم بعد أن تركهم فارس هل كنا الآن سوياً؟ هل سيفرح فارس حين يعرف أنني تركت التنظيم؟ هل سيفكر بالعودة إلي؟ هل تأخرت؟ كيف أنقل له الخبر وهو يرفض أن يكلمني لأني رفعت عليه قضايا؟

سأقول لضي أن تنقل له الخبر.

انتظرتها لتعود من لقائهما الأسبوعي هي وأختها بفارس:

- هل نقلتِ لأبيكِ خبر تركي جماعة الإخوان؟

أجابت ضي:

- نعم.

ماذا قال:

إلتفت إلى زوجته، هز رأسه وقال:

- خبلة(*)

هنا قالت مي:

- لقد أريته صورة لنا نحن الثلاثة ليعرف أنك تركتِ الجلباب، صورة حفل تكريمي في المدرسة كنتِ ترتدين قفطاناً بلون نحاسي مع بروش ألماسي وبنطالاً أسود.

- ماذا قال؟

- أخذ الصورة ودخل مع يارا غرفتهما ليريها وقفلا الباب، لحقتهما واسترقت السمع أظنها قالت: عبد الناصر درويش(**) لابس حجاب، وضجّ أبي ضاحكاً، ولم يخرج من الغرفة إلا بعد ثلاثة أرباع الساعة في حين هي لم تخرج ولم نرها حتى عدنا. لم أسمع أبي يضحك هكذا من قبل، إلا أن خالتي يارا قادرة على جعله يضحك من كل قلبه.

- تخلخلت حنوكك هذي مو خالتك.

خبلة! عبد الناصر درويش! بو عبدالله.

كم أكرهك يا فارس.

(*) خبلة: أي خرقاء.

(**) كوميديان من الكويت.

14

فـزنا في انـتخابات نـادي الـصبايا، فرحتي فاقت فرحة كل العـضوات، ربما لأن خيباتي فاقت خيباتهن، ما أن ظهرت النتائج حتى قفزت في الهواء شعرت أن كل من منحني صوته قد أعلن قبوله لي، كم أتوق للقبول؟

في يـوم الانـتخابات قابلـت دينا، التي حضرت ومعها بعض الصديقات والأقارب مع غياب واضح ليارا هل يا ترى افترقتا أم ماذا؟

عاملتني برسمية شديدة وكذلك صديقاتها وحين ذهبت لاحتضنها بعـد الفـوز ابـتعدت واكـتفت بابتسامة كبيرة أظهرت غمازتيها الـساحرتين، الغـريب أنها انسحبت بعد الانتخابات مما ورطنا وجعل الشيخة في القائمة المنافسة تنضم إلى مجلس الإدارة.

لمـاذا انسحبت دينا؟ هل لعيون يارا؟ أم أن أباها تدخل؟ هل هي جزء من مخطط القائمة المنافسة؟

تجـربة نادي الصبايا أكسبتني عداوات بعضها بالوراثة من خالة عواشـة كوني قريبتها والبعض الآخر من الأخوات الملتزمات بالإضافة إلى عـدد من الشيخات من الأسرة الحاكمة وكأنني بحاجة لكل هذا، كما تم الطعن في النتائج وإعادة الانتخابات فخسرنا.

عـدت للهـدوء والجدول اليومي الفارغ الذي يذكرني بخوائي، فتفـتق ذهـني عـن إنشاء جمعية للمطلقات والمطلقين يكون هدفها

مساعدتهم على تخطي الآلام النفسية للطلاق وتكون مجالاً جيداً للتعارف الذي قد يؤدي للزواج أسميتها Together ولقد جمعت بعض المطلقات من مكان عملي تحمّسن لا لتخفيف الآلام النفسية بل لصيد المطلقين، ولقد نصحتني إحداهن بضرورة ضم محامي لنا ليتولى الشؤون الإجرائية والقانونية واقترحت آدم البلال.

آدم البلال من شباب الجماعة، إلا أنه يبحث عن البروز بأي طريقة، كما قالت لي نهى يوماً وزوجها بو مصعب كثيراً ما يحذر منه فأخلاقه تحوم حولها الشبهات وهو مصدر زعزعة دائمة في الحركة، طلبت لقاءه في مكتبه وذهبت في اليوم المحدد ليلاً.

استقبلني بحفاوة مبالغ بها ومد يده لمصافحتي رغم أن المتعارف عليه أن رجال التنظيم لا يصافحون النساء وأبقي يدي بين يديه فترة طالت فاعترتني رعشة فجسدي أصبح أقرب لجذع شجرة هرمة ولمسته أحيتني بزخات مطر.

جلست بالكرسي المقابل لمكتبه و لم أتمكن من بدء الحديث بسبب ارتباكي فأنقذني قائلاً.

- سمعت يا سلوى بأمر طلاقك وقد أحزنني جداً وأنا على استعداد لأي مساعدة في قضايا النفقة.

فأجبت.

- لا، جهاد الفهيدان محاميتي لمواضيع النفقة وغيرها ولا زالت المحاكم بيني وبينه، أنا هنا لأنني أود أن تنضم إلينا وتساعدنا في إنشاء جمعية لشؤون المطلقات والمطلقين.

شرحت له الفكرة وأبدى عزمه واستعداده للمساعدة، وتوالت اجتماعاتنا الليلية في مكتبه حتى أصبحت أذهب إليه يومياً، حتى بدون موعد، نتحدث عن كل شيء وأي شيء.

اســتخدمت معـــه ذات الأسلوب الذي استخدمته مع عقاب، الهــدايا، أهديـــته ساعة ثمينة ماركة كارتيير Cartier وقلت هذه مجرد عربون عرفان لمساعداتك القيمة.

اشتريت الساعة من المبلغ الذي يدفعه فارس لكسوة البنات مرتين في السنة، واكتفيت بشراء ملابس رخيصة لهن ليعرف الجميع أن أباهن قد تخلى عنهن مادياً.

أمـــسكت ضـــي بلـــوزة اشتريتها لها من محل في الري للملابس الرخيصة وبكت فقلت لها:

- اشتري لكم على قدر فلوس أبيكن.

حين أرى بناتي يلبسن الثياب المهلهلة أشعر بالنصر لأني صرفت مبلغ كسوتهن على رجل آخر وانتقمت من فارس الغارق في العسل مع أخرى.

آدم الـــبلال فهم مقصدي جيداً من إنشاء مثل هذه الجمعية لذا حاول خدمتي بشتى الوسائل وبادرني قائلاً:

- يجـــب أن تظهري إعلامياً لشرح أهداف هذه الجمعية ولفت النظـــر لمشاكل المطلقات والمطلقين، ولقد أخذت لك - بعد أذنك طبعاً - موعداً مع مجلة آمال النسائية لإجراء لقاء.

رقص قلبـــي فرحاً وتمنيت أن احتضنه.

تم اللقاء في منـــزلي، كانت الصحفية امرأة عربية كبيرة في السن لّماحـــة، تحدثـــنا عن أمور كثيرة، منها حجابـــي الذي أرجعت سببه لحـــادث المركبة دون ذكر أثر هى وتنظيم الإخوان، لأنني قد فككت ارتباطي بهم، كما بينت لها أنني تزوجت رغم أنف أسرتي وأن الطلاق كان قراري وحدي. رسمت لنفسي الصورة التي طالما تقت إليها وانتهى اللقـــاء بالتقاط صور متنوعة لي، ودعت الصحافية عند الباب وشعرت وأنا أصافحها أنها أخذت بعضاً من الهزامي القديم معها ورحلت.

صـــدرت المجلة وعنوان كبير يتصدر اللقاء الخاص بـــي: الطلاق عيد ميلادي الثاني.

قهقهت وأنا أقرأ العنوان واحتضنت المجلة ببهجة طاغية.

جاءني اتصال أمي:

- هـــل جنـــنتِ يا سلوى؟ هل يعقل أن تقولي أن الطلاق عيد مـــيلادك الـــثاني؟ أنـــا أسعى لأن يطلق فارس زوجته اللعينة ويعـــيدك إلى عصمته وأنت تهدمين ما أبني، ماذا دهاكِ؟ هل فقدتِ عقلك؟

- هو عيد ميلادي فعلاً فلقد انطلقت وتحررت من سجن فارس.

- لا تكذبـــــي الكذبة وتصدقي نفسك، عشتِ في عز وكرامة معه ومُنى عيني أن أراكما معاً من جديد، لماذا يا سلوى؟

توالت اتصالات أخواتي، جاءني صوت سناء غاضباً:

- ألم تستحِين من الكلام السخيف الذي أدليتِ به للمجلة؟ ماذا ستقولين لبناتك؟

- سأقول لهن أن أباهن غلطة حياتي وأصلحتها.

- وماذا ستستفيدين من هذا الكلام؟

- إحراجه وإغاظته؟

- أنت الخسرانة، قالتها وأنهت المكالمة.

اتصال نهاد كان الأخير والأخف:

- حـــيا الله أختي المشهورة، شعرت وأنا أقرا لقاءك بأنني أخت ســـحر حمدي(*): لا لا لا ما لناش في الغيرة، أصل الغيرة في الحـــب خطيرة إنساها يا روحي إنساها واشطبها بالطباشيره، وتضاحكت كعادتها.

(*) سحر حمدي: راقصة مصرية ذاع صيتها في الثمانينيّات من القرن الماضي.

- مؤيد قرأ اللقاء وقال:
- يبدو أن فارس أحرق خبزة سلوى فأصبحت راقصة إعلامية.
- كيفي لا شأن لكم بـــي.
- بكـــل تأكيد افعلي ما بدا لك، تحزمي وارقصي على دفوف الغـــيرة والمرارة وستجدين الكثيرين ممن سيصفقون لك، الله يوفقك.

لقائي في المجلة لم يعجب أحداً سوى آدم الذي اتصل بـــي مهنئاً:

- لقاء رائع وصور جميلة جداً.

تـــوالت لقاءاتي اليومية بآدم في مكتبه كل ليلة وتوثقت علاقتي به فأصـــبحت أهاتفه في الصباح وأبعث له الرسائل النصية القصيرة أثناء النهار وهو في المحكمة وألتقيه في الليل إلى أن جاءتني رسالة هاتفية من رقم مجهول تقول:

(ابتعدي عن زوجي أيتها الساقطة)

لم أشعر بالمهانة ولا بالخوف بل انتابني شعور لذيذ وفي ذلك اليوم تحديداً قلت لآدم بلا مقدمات.

- آدم، هل تتزوجني؟

فوجئ آدم ربما لفظاظة الطلب، ابتسم بارتباك وقال:

- لي زوجة وأربعة أولاد.
- لا يهم.
- لن أطلق زوجتي.
- لا يهم.
- قد لا أتمكن من توفير سكن لك فالتزاماتي كثيرة.
- لا يهم، بيتي موجود.
- وبناتك قد يأخذهن طليقك.

- هذا مرادي.

- أهلك هل يقبلون؟

- لا شأن لأحد بـــي.

- قد لا أمنحك من وقتي ما تستحقين.

- ليلـــتان في الأســـبوع تكفـــياني، قلتها بصفاقة تحمل إيحاءات جنسية فجة.

- لدي طموح سياسي قد يتأثر بمثل هذه الخطوة.

- الـــزواج المتعدد لم يكن عائقاً في وجه إسماعيل الشاوي الذي نجـــح في الانتخابات ولا أحمد قادر أما السياسيون من القبائل فالتعدد عندهم طبيعي جداً.

- عفـــواً سلوى والنعم فيك وألف من يتمناك ولكن هل تعرفين أنني أصغر سناً منك بنحو خمس سنوات.

- لا ضير، قلتها بصوت مرتجف وبدأت أنفعل فقررت أن أترك المكتب وقفت وتوجهت للباب فلحقني.

وضـــعت يـــدي على مقبض الباب لأفتحه فوضع يده على يدي الـــتفت إلـــيه فوقف على أطراف أصابعه، ضمني له في حركة مباغته وإلتهم شفتي بعد أن ألصقني بالباب.

قبلته الشهوانية لها مذاق مسكر، خرجت من مكتبه مترنحة.

ذهبت لمنـــزل أهلي حيث لقاؤنا الأسبوعي وقلت بلا مقدمات:

- سأتزوج آدم البلال.

رد أبـــي:

- من يكون؟ حارس عمارة؟

- لا، محامي.

- ماذا يريد منك؟ سأل بقسوة.

- يحبني.

ضحك هازئاً فعلقت أمي.

- مــو ناقصنا إلا نناسب بيت البلال، أرجوك لا تطيحين حظنا أكثر مما هو طايح، ماذا سأقول للقريبات والصديقات.

- لتذهب قريباتك إلى الجحيم.

تدخلت سناء في صالحي للمرة الأولى:

- الزواج مو عيب وسلوى لن تقضي حياتها وحيدة.

سألت نهاد:

- آدم ولــد أم آدم يا إلهي، هل تعرفين والدته عليمة العواش؟ يا الله، أتخيلها ستقطع جلدتك لأنها تحب زوجة ابنها.

استغربت المعلومة!

- من أين لكِ هذه المعلومات؟ سألت:

- أخــت آدم تعمل مع صَديقتي لولوة، لذا رأيتها مع والدتها في أكثــر من مناسبة عند لولوة، آخرها زواج أختها قبل شهر، كــيف لي أن أصــف لك طربها حين تسمع صوت ضرب الدفــوف فتلوّح بكفها وتهز رقبتها لليمين واليسار وتصدح إقعــد، إطلــع، يا أخضر يا أحمر.. إلوي إلوي.. هلا هلا.. عاشـــو.. أيــوه.. أمي لن تستحمل هذا أبداً. يا سلام على علــيمة أم آدم، لونها كاكاوي وشعرها سيم العبد وشفايفها كالــسيجار وأنفها أفطس، أتمنى أن يكون أبنها أجمل منها وإلاّ!

امتقع وجه أمي وقالت:

- ســلوى أرجوكِ، فكري فينا كعائلة، سنجد لك زوجاً مناسباً واتركي عنك هذا الآدم.

أجــواء زواجي الثاني ذكرتني بأجواء حجابـــي، شعور بالإصرار والتحدي طغى على كل شيء.

حضّرت لحفل صغير في منــزلي وأشرفت على كل التفاصيل بلا مــبالاة حتى الفستان اقتنيته بسرعة وكأنني أشتري دزينة من جوارب نسائية من محل لبيع الجملة.

أخــبرت بــناتي وهــددتهن بأن إبلاغهن لوالدهن سيجر عليهن الويلات، فكما فوجئت بزواجه أريده أن يفاجأ بزواجي.

تذكــرت المعلومة التي أسرت لي بها سوزانا - خادمة يارا - عن المــرأة التي تضع الماكياج لسيدتها، قالت أنها من جنوب أفريقيا، سألت وحــصلت علــى رقمها، اسمها روكسي واتفقت معها أن تزينني يوم زفافي، أما شعري فسأصففه في الصالون القريب من بيتي.

حــضرت روكـــسي وهـــي امرأة جميلة قصيرة القامة بشعر كـــستنائي لامع وملامح دقيقة وعينين خضراوين واسعتين وسألتني بأدب:

- هل العروس ابنتك أم أختك أم صديقتك؟

فأجبت بعصبية:

- أنا العروس.

- أنـــا آســـفة، أعذريني؟ الطريق من بيتي إلى بيتك طويل ولقد لففـــت في الشوارع كثيراً مع سائق سيارة الأجرة فالتبست علـــي الأمـــور؟ مبروك يا عروسة تمنياتي لك بحياة هانئة، هل ممكن أن أرى فستانك؟ لأقترح عليك الألوان الملائمة ثم أسمع منك كيف تودين أن يكون مظهرك؟

أريتها الفستان الذي كان بلون بين الأصفر والبني، لون أقرب إلى بهار الكركم، ابتسمت بصعوبة وقالت:

- مع لونك الأبيض يجب أن نختار ألواناً براقة لأن لون الفستان سينعكس عليك بالشحوب.

ألبستني غطاء للشعر وبدأت تدهن وجهي بالمنظفات والكريمات استعداداً لطليه بكريم الأساس الذي يوحد لون البشرة كما شرحت لي.

- من دلك عليّ؟ سألتني في محاولة لكسر الصمت.

- يارا النايف، أجبت.

- يا الله، هذه زبونتي المفضلة، إنسانة بمنتهى الذوق والرقة والرقي، هل هي قريبتك؟

- نعم.

- غريبة، لم تقل لي بأنها مدعوة لحفلة فعادة أنا أتولى وضع ماكياجها في كل المناسبات الكبيرة منها والصغيرة، حتى أنني زينتها الأسبوع الماضي في السابعة صباحاً لأن لديها مقابلة تلفزيونية حول البورصة على ما أظن، طلبت مني أن يكون ماكياجها رزيناً فكان لها ذلك، حين ألون عينيها أشعر بمتعة، فلها عينان لوزيتان عربيتان من أجمل ما رأيت.

- ربما ستعمل ماكياجها بنفسها لأن الحفلة صغيرة، هي فعلاً فتاة رائعة لولا خطأ زواجها من رجل سرقته من امرأته وبيته.

سكتت، وحاولت تغيير الموضوع فقالت:

- حدثيني عن شعورك، هل هذا زواجك الأول؟

- لا، هو زواجي الثاني.

- ماذا عن العريس؟

- زواجه الثاني أيضاً.

- عادة، بعد التجربة الأولى يعرف الإنسان نفسه أكثر فيكون اختياره الثاني تصحيحاً لأخطاء اختياره الأول، أتمنى لكما كل

التوفيق. لن أكثر من الماكياج حول عينيك لأنهما صغيرتان جداً لذا سأكتفي بظلال جفون بلون فاتح وبعض الماسكارا.

شعرت بخنق، فلقد قالت منذ دقائق أنها تستمتع برسم عين يارا.. عمى؟

هل يعقل أن أفكر في يارا يوم زفافي؟ تباً لها.. تباً لي.. تباً لفارس... تباً للقدر.

جلست على الكوشة البسيطة، عبارة عن كرسيين وبينهما باقة ورد كبيرة من الجوري الأحمر، نظرت في الوجوه الواجمة من حولي، لم يكن أي منهم مبتسماً، اللعنة عليهن، بناتي كن خجلات، يجلسن متلاصقات في طرف القاعة بينما أخواتي يرحبن بالحضور.

أمي بدت واجمة وذراعاها مكتوفتان تحيطان بصدرها الذي يكاد ينفجر غيظاً.

أهل آدم غابوا عن الحفل لأنه آثر أن لا يخبرهم إلا بعد أن نسافر لشهر العسل درءاً للمشاكل، آدم مسرور ولكنه قلق ربما لأنه يفكر بأهله ووقع الخبر عليهم، كل ما شغلني وأنا على الكوشة هو وقع الخبر على فارس.

أمضينا أسبوع من شهر العسل خارج البلاد وقضيت أوقاتي بإشباع ذلك الوحش الظامئ في جسدي حتى أنهكت عريسي الذي ينهشه القلق، أغمض عيني وأتخيله فارس فتتوهج رغباتي، هو أيضاً يغمض عينيه ولا يهمني من يتخيل طالما ليست يارا.

- آدم حبيبي لقد مر أسبوع وأهلك يعتقدون أنك في رحلة عمل حان الوقت لإخبارهم.

قــرر أن ينقل الخبر من خلال رسالة نصية قصيرة أرسلها لزوجته ووالدتـه وأخواته فانقلبت الأحوال رأساً على عقب، اتصلت والدته وبلغ صراخها الغرفة المحاذية لنا في الفندق ولقد سمعت من الشتائم ما لم أسمعه في بيت أهلي الغارق بها.

سـعدت أن زوجي من أسرة أكثر بذاءة لفظية منا ولكن سعادتي كانـت مؤقتة، فما أن عدنا إلى الكويت وبعد أسبوعين زارني خلالهما مـرتين لا أكثـر متعذراً بأنه بحاجة لوقت لتهدئة النفوس من حوله، فـزوجته ذهـبت إلى بيت أهلها ووالدته أقسمت أنها لن تكلمه أبداً وأخواته تشاجرن معه كما أن أباه تدهورت صحته بسبب الضغوطات.

كـنت أتذكـر ما قالته سوزانا الفلبينية إياها، فأزين غرفة نومي بالـورود والشموع وأستحم وارتدى طقم نوم حريري وأتعطر، آمر الطباخة ماري بإعداد العشاء وأوصي بناتي بأن يتناولن العشاء في المطبخ ثم يذهبن لغرفهن لأني لا أريد إزعاجاً في حال حضور آدم.

كلفـني هـذا أجهزة هواتف جوالة وكمبيوترات محمولة جديدة بالإضـافة إلى عشرات الفساتين والأحذية لضي ومي اللواتي استغللن زواجي لابتزازي بامتياز.

أنتظره فلا يأتي فأعيد الترتيبات لليلة التالية وفي المرتين اللتين بات عـندي كـان مهموماً ومشغول البال لدرجة أنه لم يعطني حقي الذي أنشده، حاولت أن أرفه عنه بشتى الوسائل إلا أنني لم أفلح.

في صـباح اللـيلة الأخـيرة التي زارني فيها وفي الساعة العاشرة والنصف بالتحديد وصلتني رسالة نصية من آدم تقول:

(أنت طالق)

اتـصلت بـه لاستفسر منه إلا أنه لم يجب على اتصالاتي وبدأت تـتوالى علي الاتصالات الشامتة، تتصل إحداهن فتبصق وتقفل الخط،

وتتـــصل أخرى وتقول: ما يصح إلا الصحيح، وتتصل ثالثة لتقول: يا خطافة الرجال.

أما نهاد فكان تعليقها الساخر:

- حظـــك مـــع الـــرجال ســـيء، لماذا لا تجربـــي أن تعشقي نساء؟

والـــداي استـــشاطا غضباً، أبـــي التزم الصمت على غير عادته ولكنه صمت مريب، في حين أمي قالت:

- هذه آخرة نسب الرعاع.

بعـــد بضعة أيام جاءتني رسالة نصية من ابنة عم أمي نوال المؤذن تقول:

(إقرئي ما كتبته عنكِ يارا النايف في مدونتها، العنوان الإلكتروني) Al7alimayara.blogspot.com

إلى امرأة خسرت في معركة الحب مرتين أهدى هذه الأبيات علها تراجع نفسها وتتعظ.

يقول نبـــي العشق نـــزار قباني طيب الله ثراه:

أريدك أنثى ولا أدعى العلم في كيمياء النساء
ومن أين يأتى رحيق الأنوثة
وكيف تصير الظباء ظباء
وكيف العصافير تتقن فن الغناء
أريدك أنثى
وأعرف أن الخيارات ليست كثيرة
فقد استطيع اكتشاف جزيرة
وقد أستطيع العثور على لؤلؤة
ولكن من ثامن المعجزات اختراع إمرأة

اللئـــيمة! تقصدني وتعيّرني، يبدو أن فارس قد حكي لها الكثير، شعرت بأن دمي يغلي في عروقي وقررت أن أرد عليها.

فكان مني هذا الرد بعد أن اخترت لنفسي لقب عاشقة الحرية:

"يبدو أننا نختلف في فهمنا للأمور فمن يخوض الحب لا يخرج إلا منتـــصراً بقـــوته وخبرته ومحبة أصحابه ولفظ الخسارة لا وجود له في قاموس حياتي فالفشل مظهر خارجي أنا لا أقول أني فشلت بل أقول لم أوفـــق، أقرئـــي في سيرة الصحابـــي زيد بن حارثة حِب رسول الله لتتعلمـــي كيف لا تصدري الأحكام أما نـــزار فأنا غير مقتنعة بشعره وأختم كلامي بلا تعير أخاك بما ليس فيك فيعافيه الله ويبتليك."

كان هذا الرد هو خلاصة كل ما تعلمته في برامج التطوير الذاتي والبرمجة اللغوية العصبية وكل ما تعلمته من الإخوان المسلمين والدروس الدينية، أربعة أسطر حملتها بحصيلتي كلها.

لم أنم تلـــك اللـــيلة، ووضـــعت كمبيوتري المحمول في سريري الموحش انتظر رد تلك المتعجرفة، في الصباح جاء ردها كالتالي:

أهـــلاً بك في سماء الحلم التي نذرها للحب والشعر وكل ما هو جمـــيل، لـــن أخوض مع ضيف من ضيوفي حرباً دنكشوتية لذا لنترك التخمين والأوهام جانباً ولنستمتع بروعة الشعر.

تـــتملص من الإجابة وتتفاخر باستخدام مصطلحات سخيفة ماذا تعـــني الحرب الدنكشوتية هل لها علاقة بدون جوان معبود النساء؟ ربما لأن نـــزار دونكشوتي من الدرجة الأولى.. سحقاً لها.

تفرغت لقراءة كل ما تكتب يارا في مدونتها، أبحث بين السطور والتعلـــيقات عـــن ما يمكن أن تكون تقصدني به، أبدأ نهاري بها وأظل أراقب صفحاته أثناء الدوام ولا أخلد للنوم إلا بعد أن أقرأ ما كتبت.

من متابعتها في المدونة عرفت تفاصيل كثيرة منها أنها تصحو باكراً وتبتعد عن المدونة في الليل تماماً كما أن أسفار فارس لا زالت كثيرة، إلا أنها تستغلها لمغازلته وإرسال الأشعار له من خلال مدونتها تقول:

بلغي يا ريح عنا أهل لشبونة السلاما

بأبـي من أشعل القلب غراماً وهياما

هذه الملعونة تلعب برأس هذا الرجل بالشعر؟ عسى أن يعود بجنازة من لشبونة؟

وفي غمرة انشغالاتي بمدونتها اتصلت بي أمي وقالت بصوت حزين.

- سلوى، ظهرت نتائج فحوصات أبيكِ وهو مصاب بالسرطان في الكبد وحالته غير مطمئنة؟ احضري حالاً فأخواتك في الطريق.

هل الجنازة ستكون من نصيب أبـي لمجرد أنني تمنيتها لفارس؟ سامحني يا الله، اضطربت داخلي المشاعر، فأنا غير متأكدة من شعوري تجاه والدي، هل أحبه أم أمقته أم لا هذا ولا ذاك وكيف سيكون حالنا من بعده؟

وصلت وإذا بأخواتي تحطن بأمي وتبكيان، لا أذكر أنني شهدت مثل هذه المشاعر الجياشة في بيت أهلي، تقمصت دور الداعية لسبب أجهله وقلت:

- تعوذوا من الشيطان الرجيم، هذا ابتلاء من رب العالمين وبإذن الله سنجتازه معاً أدعو له بالصحة والعافية.

- اسكتي، قالت نهاد وهي تكفكف دموعها وتبتلع ريقها بصعوبة، أنت آخر من يتكلم فلقد مرض أبـي بسبب

فضائحك المتتالية من لقائك الغبـــي في مجلة آمال إلى زواجك من ولد عليمة إلى طلاقك بعد شهر، حسبـــي الله عليك.

احتضنتها سناء وقالت:

- حبيبــــــي أبـــي، من سيوقف أزواجنا عند حدهم إذا رحل، الله يشافيه يا رب.

أمـــي تبكـــي بصمت ورسمات الخوف بادية على وجهها الذي تضاعفت غضونه فجأة. أجرى عارف اتصالات كثيرة مع المستشفيات الخارجية المتخصصة في هذا النوع من السرطان ورتب لسفر الوالد إلى أميركـــا، فيما تولى مؤيد أمر حجوزات الطيران والإقامة، أمي وسناء وعـــارف رافقـــا أبـــي إلى أميركا، على أن تلحق بهم نهاد ومؤيد، أمـــا أنـــا فلم يطلب مني شيء! هل لأني فاشلة في نظرهم أم كوني الصغرى؟

أجـــري والدي عملية خطرة جداً، استغرقت تسع ساعات لإزالة الأورام واقـــتطاع جـــزء من الكبد وإزالة المرارة والطحال وجزءاً من المعدة ومن ثم تم تعريضه لجلسات علاج كيماوي وإشعاعي.

بعـــد مضى ثمانية أسابيع عادوا إلى البلاد لا لأن العلاج انتهى بل لأن أبـــي لا يملك المال اللازم لاستكمال العلاج في أميركا.

صـــدمة مـــا بعـــدها صدمة، في الوقت الذي اعتقدنا أننا أثرياء اكتـــشفنا في أحلك الظروف حين أصبح للأموال حاجة ملحة أنها غير موجـــودة، فقد استثمر أبـــي أمواله في مشاريع عقارية وفندقية متنوعة لم يكتب لها النجاح، كما أن تسييلها بحاجة إلى وقت طويل.

تم إدخـــال والدي إلى مستشفي حكومي، أحطنا به وتوافد عليه الزائرون من الأهل والأصحاب. يقول لهم ساخراً:

- قطعت تذكرة للآخرة وها آنذا في المطار بانتظار الإقلاع.

أمي تبكي وتقرأ القرآن، نهاد واجمة تتساقط دموعها، سناء تشعر بالمسؤولية كونها الكبرى تجري خلف الأطباء والممرضات وتناقشهم ثم تؤنبهم، تأمر الخدم بإحضار متعلقات من المنزل ثم تأمرهم بأن يعيدوها ثانية.

أما أنا فأراقب ما يجري دون أن أعيشه، جدار زجاجي يفصلني عن مرض أبي وتأثّر أمي وحزن أخواتي، ربما لأن آلامي أكبر من أن تتيح لي فرصة التعاطف مع آلام الغير، ربما لأن أبي هو أول رجل أهانني وتوالت بعده الإهانات؟ لا أعلم.

في غمرة أفكاري لمحت رجلاً أعرفه جيداً يطرق باب غرفة والدي المفتوح أصلاً، هو بطوله وعرضه وشحمه ولحمه، هو بعينيه الحادتين وشفتيه المزمومتين، هو بصوته الهادئ يقول:

- مساكم الله بالخير.

أكاد لا أصدق أنه فارس، وقفت ولففت جسمي باتجاه النافذة وكأني أبحث عن شيء، لم أرد أن أعيره اهتماماً، أمي ظلت ترمقه بنظرات تأنيب فيما قال أبي:

- هلا هلا فارس حياك.

- غزال والشر زال، ما عليك إلا العافية إنشاء الله.

- أي غزال، أنا الآن بعير في أيامه الأخيرة، رد أبي متهكماً.

- الأعمار بيد الله، لك طول العمر.

زاد مستوى التوتر في الأجواء، فأمي ترشقه بسهام نظرات عدم الرضا وسناء ونهاد لا ترفعان أعينهما عنه غير مصدقتين زيارته وأنا مشلولة التفكير أقف بمحاذاة نافذة الغرفة وأشخص بنظري في الأفق.

وقف فارس وقال:

- تعقبنا عليك العافية، ما تشوفون شر وخرج.

هل زارنا فعلاً؟ أم أنني واهمة؟ لماذا جاء؟ ليطمئن على أبـــي؟ أم ليراني؟ هل أخبرته البنتان بأن جدهما مريض؟ هل حنّ لأسرتنا؟ هل لا يزال يعتبر نفسه جزءاً منا؟

قالت لي نهاد:

- يبدو أصغر بعشر سنوات، لم أره بهذا التألق.

قالت سناء:

- أصيل، لم ينسَ العشرة، ضيعتِ هذا الرجل من يدك يا أختي.

علقت أمي:

- حسبـــي الله عليه.

بينما أنا لم أنبس ببنت شفه.

15

مات أبـــي.

تـــوافدت النساء بعباءاتهن السوداء على منـــزلنا، أمي على الكنبة وبجانـــبها أختي سناء ثم نهاد وأخيراً أنا، تقبلنا النساء مرددات العبارات ذاتها:

عظّم الله أجركم، البقاء لله، صوت القرآن يصدح في القاعة:

(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)

هل أبـــي مشرك؟ماذا سيكون مصيره الآن؟ ماذا لو كان كل ما قيل لنا كذبة؟ ماذا لو ذهبت يارا إلى الجنة؟ ماذا لو لم يكن هناك جنة ولا نار بل مجرد فراغ؟

صرخت: أبي، وأخذت أبكي بصوت عال واضرب فخذي بكفي فيما النساء تحطن بـــي مرددات: اذكري الله يا سلوى أنت مؤمنة؟

احتضنتني إحداهن، رفعت رأسي وإذا هي لمياء:

- اسم الله عليك حبيبتي، الله يمسح على قلبك ويصبرك يا رب.

بكـــيت علـــى صـــدرها، بكيت فارس الذي رحل وآدم الذي فضحني، هل من قبيل الصدفة أن يكون اسمه آدم أم أنها رسالة باسم بني آدم من الرجال، بكيت وبكيت وبكيت حتى انتفضت كطائر جريح.

أدخلوني غرفتي القديمة واحضروا لي طبيباً من مستوصف المنطقة، قاس ضغطي وإذا به منخفض بسبب كثرة البكاء، نصحهم بإضافة الملح إلى طعامي وذهب.

مــــرت أيام العزاء بطيئة، تحيطنا نساء من العائلة نادراً ما نراهن، يشاركننا الغداء والعشاء، تبعث لنا الغداء أم دعد ثم تتولى أم رياض أمر العشاء وهكذا وكأنها احتفالية للتنافس على الأطباق.

أصـــناف مـــن الأطعمـــة، ســـلطات ومقبلات، أطباق رئيسية وحلويات، تقول أم دعد:

- تذوقوا سلطة الفلافل، إنها لذيذة.

تقول أخرى:

- حلاوة الجبن، خيال.

ترد عليها الثالثة:

- محشي الكوسا ولا ألذ.

وفي وسط الأكل والضحكات تسألني إحداهن:

- هـــل صـــحيح أن آدم طلقـــك برســـالة هاتفية؟ سمعت و لم أصدق؟

تدخل أخرى على الخط وكأنها تنتظر الإشارة:

- يقال أن والدته حلفت عليه.

- هل كلمك من يومها؟

ابتسم في وجوههن تلك الابتسامة التي أتقنتها وأقول:

- كل شيء قسمة ونصيب.

هذا العزاء الأول الذي أكون عضواً رئيسياً فيه، مما أتاح لي أن أتمعـــن في المعزيات، عباءات مختلفة، التقليدية لكبيرات السن وعباءة

الكـــتف للـــشابات، مــنها مـــا هـــو مطـــرز بالدانتيل والخيوط وحبات الكريستال على الأكمام والأطراف مع غطاء شعر بالتطريز ذاته.

أتمعن في وجوه الحاضرات، الشابات يضعن ماكياج بألوان ترابية، أخـــريات يكتفين بالماسكارا والكحل، امرأة أربعينية بحواجب موشومة بالأسود وشفاه موشومة بالزهري الغامق.

أســـتعرض أذرعهـــن فأجـــد الـــساعات المأســـية تتلألأ في المعاصـــم والأســـاور الـــرقيقة تزينها أما الدبل فيحرصن على لبس أفخرها.

الملابس لا يظهر منها إلا الشيء اليسير، منهن من يلبسن فساتين أو جلابيات محلية ومنهن من ترتدي جينـــز وتي شيرت.

الأحذيـــة تحكـــي قصصاً أخرى، لاحظت كثرة الأحذية ذات الأرضية الحمراء على اختلاف ألوانها وأشكالها، تظل الأرضية الخارجية للحذاء حمراء.

وشوشت نهاد فأجابت:

- هذه ماركة كريستيان لابوتان Christian Louboutin طاح حظك.

- ماذا يعني؟

- إنهـــا ماركة أحذية مشهورة، ألا تتابعين المذيعة الأشهر أوبرا والممثلات الهوليوديات كلهن ينتعلن هذه الأحذية، خلف الله عليك.

لم تخـــبرني ســـوزانا الفلبينية إن كانت يارا تمتلك أحذية من هذه الماركـــة! ربما لأننا لم نصل لمرحلة الأحذية وانتهت علاقتنا سريعا بعد حادثة الابتزاز.

سوزانا، يارا والحذاء ذو السطح الأحمر شغلا تفكيري فيما النساء تقبلـــني فتمـــر علي روائح عطور وأطياب وبخور وطبخ وعرق وغبار وعطور وبخور وأطياب وطبخ وعرق وهكذا.

الأخوات حرصن على تأدية واجب العزاء و لم تغب أيا منهن حتى حـــصة وضـــياء حـــضرن إلا أنهن جلسن لمدة عشر دقائق وخرجن مسرعات في إشارة إلى ضعف العلاقة.

تواجدت نهى في كل الأيام وحرصت على البقاء إلى ما بعد صلاة المغـــرب لتحدث من يتبقى من النساء أحاديثاً دعوية، وفي اليوم الثالث أحضرت معها الداعية ذائعة الصيت نورية القزاز، تجمعت النساء بلهفة حول نورية التي استهلت حديثها:

بـــسم الله والـــصلاة والسلام على رسول الله محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.

حبيـــباتي، أسأل الله أن يؤجركن في مصيبتكم ويخلفكن خيراً منها.

سأبدأ حديثي بدعاء للميت ثم سأحدثكن اليوم عن خروج روح المؤمن.

اللهم اجعل قبر حامد السوسي روضة من رياض الجنة ولا تجعله حفره من حفر النار.

اللـــهم إن حامـــد السوسي عبدك وأنت خلقته وأنت قبضت روحـــه وهديته للإسلام وأنت أعلم بسره وعلانيته، وجئنا نشفع له فأغفر له.

اللـــهم إن حامـــد السوسي في ذمتك وجوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم.

اللـــهم انقل حامد السوسي من مواطن الدود وضيق اللحود إلى جنات الخلود في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة.

اللـــهم اغفـــر له وارحمه وعافه وأعفُ عنه وأكرم نـــزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس.

اللهم إن كان محسنا فزد في حسناته وإن كان مسيئا فتجاوز عن سيئاته.

اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده.

اللهم آنسه في وحدته وآنسه في وحشته وآنسه في غربته.

اللـــهم اجعله في بطن القبر مطمئناً وعند قيام الأشهاد آمناً وبجود رضوانك واثقاً وإلى أعلى علو درجاتك سابقاً.

اللـــهم اجعل عن يمينه نوراً وعن شماله نوراً ومن أمامه نوراً ومن فوقه نوراً حتى تبعثه آمناً مطمئنا في نور من نورك.

اللـــهم إن كان مصليا لك فثبته على الصراط يوم تزل الأقدام.. اللهم إنه كان لك صائما فادخله الجنة من باب الريان.

اللهم ارحمنا إذا ووارينا التراب وغلقت من القبور الأبواب وانفض الأهل والأحباب فإذا الوحشة والوحدة وهول الحساب.

اللهم اغفر لنا وارحمنا أذا صرنا إلى ما صاروا إليه.

اللهم ارحمنا إذا أهملنا فلم يزرنا زائر ولم يذكرنا ذاكر ومالنا من قوه ولا ناصر فلا أمل إلا في القاهر القادر الغافر الساتر يا من إذا وعد وفى وإذا تـــوعد عفـــا ورحم من هفا وجفا وغفا وشفع فينا الحبيب المصطفى واجعلنا ممن صفا ووفى وبالله اكتفى يا أرحم الراحمين يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم تقبل منا الدعاء اللهم اغفر لوالدي وارحمهما يا أرحم الراحمين.

النسوة تشهقن بالبكاء وترددن بأصوات مخنوقة خلف الداعية آمين آمين آمين، يتعالى صوت النحيب، أمي تجهش بالعويل وأخواتي يتماسكن بصعوبة

وقفت زوجة عمي الأوربية فجأة، قوامها ممتلئ، ترتدي بنطالاً واسعاً أسود وكنزة من اللون ذاته، شعرها أشيب قصير. قالت بغضب:

- أخرسوا هذه المعتوهة بحق السماء؟ هل أنتِ فعلاً داعية؟ ما هذا الكلام البائس عن القبر والدود والعقارب والعذاب؟ حامد ذهب إلى الرب، وهو في مكان أفضل من مكاننا وسيرحمه الرب لأن الرب أرحم منا جميعا. لا تسمعيها يا نورة، لا تلتفتوا إليها يا نهاد وسناء وسلوى إن أباكن الآن يرقد بسلام ولا تصدقوا غير هذا.

خيّم السكوت على القاعة، فصوتها وسنها وهيأتها فرضت هيبة ما، تعالت ضحكات الشابات وانتقلت عدوى الضحك فعمت القاعة.

نورية القزاز حاولت تدارك الوضع فقالت:

- يا أم يوسف، موجهة كلامها لزوجة عمي الأوربية، نحن ندعو له ولسنا قانطين من رحمة الله سبحانه وتعالى، لقد عشتِ بيننا ما يقارب الثلاثين عاما ولم تسمحي لنا بتعريفك على ديننا بالشكل الصحيح أنت دوماً رافضة، الله يهديك.

- الرب هداني إلى المسيحية، وأنا ملتزمة بديني.

لأول مرة أعرف أن خالتي هيلينا يسمونها أم يوسف، لقب فكاهي لامرأة أوربية، والأكثر فكاهة أن الداعية نورية تعرفها وفشلت في إدخالها للإسلام.

أعجبـــتني خالتي هيلينا، ترى كيف استطاعت أن تندمج في هذا المحـــيط القاســـي؟ كيف تأقلمت مع البعد عن بيئتها وثقافتها وأهلها وناســـها؟ كـــيف رسخت مكانتها في عائلة السوسي؟ كيف روضت عمـــي وربت ولدين من أفضل شباب العائلة؟ كيف احتفظت بدينها وهويتها و لم تذب في المحيط؟

يا لها من امرأة.

انتهى العزاء، ودخلنا في مرحلة ترتيب أمورنا المالية، اقترحت على أمـــي وأخواتي بيع شقة لندن لأنها قد تدخل علينا ما لا يقل عن نصف مليون دينار، قبلن على مضض.

عـــارف ومؤيد تقاسما كراتين المشروب المخزنة في سرداب بيت أهلي، فيما أصررت أنا على تقييمها ليأخذ كل ذي حق حقه.

قال مؤيد:

- اسألي أصحابك المتدينين كم سعر كرتون الويسكي وكرتون الفودكا؟

رد عارف:

- وجود الكراتين في بيت عمتي لا يجوز والحساب أمره هين.

نهاد وسناء رمقتاني بنظرات غضب فتركت المكان.

في طريق عودتي إلى بيتي اتصلت بآدم فلم يرد، أرسلت له رسالة نصية تقول:

(اتـــصلت بك بصفتك محامي أثق به لتتولى أمر بيع إحدى شقق والدي المرحوم في لندن والتي قد تتجاوز قيمتها المليون جنيه إسترليني.)

هل قلت إحدى! نعم كنت أريد أن أستدرجه، ونجحت.

اتصل بـــي وقال:

- عظم الله أجرك يا سلوى، أنا محرج منك جداً وأشعر بتأنيب ضمير يجلدني باستمرار، أنت امرأة رائعة ولكني لم أستطع الحفاظ عليكِ بسبب ظروفي، تعرفين يا سلوى أن الأم هي جنة المرء وناره ولقد أرغمتني أمي على طلاقك.

رددت:

- اتصلت بك لأنني أثق بك فأنت ابن بار بوالدتك وصدقني أنني عذرتك وغفرت لك، هل أزورك اليوم في المكتب لنناقش تفاصيل البيع وحيثياته؟

مددت جسور التواصل معه وعدت لبرنامجي القديم، أزوره بشكل يومي في مكتبه بعد صلاة العشاء، أهديته حقيبة جلدية فاخرة من ماركة لويس فيتون، وساعة ماسية لوالدته ماركة شوبارد.

قلت مازحة:

- الساعة لأم آدم وليست لأم بلال، في إشارة إلى زوجته الأولى.

في عيد ميلاده أهديته سيارة لكزس بيضاء، وبذلك أكون قد صرفت كل ما أملك من أموال بانتظار حصتي من بيع شقة لندن.

بعد مرور شهر على زياراتي سألته مجدداً:

- هل تعيدني لعصمتك؟
- يا ليت، رد بسرعة.
- حسناً، لكن هذه المرة سأشترط مؤخر صداق كبير حتى لا تستسهل تطليقي.

زففت الخبر إلى أمي وأخواتي، فردت سناء:

- ألا تخجلين من نفسك، والدتك لا تزال في العدة وأنتِ تجرين خلف رجل طلقك بعد شهر وتريدين أن تعودي لعصمته.

أمي ردت:

- يبدو أنك فقدت عقلك كلياً.

نهاد قالت:

- ما الذي يضمن لك أن لا يطلقك بغتة مرة أخرى.

رددت بثقة.

- اتفقت معه على مؤخر طلاق ضخم.

صرخت سناء:

- هل أصبحت نفسك رخيصة عليكِ لهذا الحد؟

انتهى النقاش بتسوية لم تعجبني، وهي أن أنتظر انتهاء عدة أمي، أي تأجيل الزواج شهرين، خشيت أن يتراجع آدم خلال تلك المدة لذا حرصت على الزيارات المتكررة والهدايا الثمينة له والأهم لوالدته عليمة.

في اليوم المقرر أن تخرج به أمي من العدة صحبتها أم دعد وهي مغطاة الوجه بغطاء أسود خفيف وعلى رأسها عباءتها لتفتح وجهها للبحر كما جرت العادة عند الجيل القديم فيما كنت أنا أحضر نفسي ليوم زفافي للمرة الثالثة.

فستاني هذه المرة كان بلون ليلكي، و لم أستعن بخبيرة الماكياج إياها التي تتعامل معها يارا فلقد تشاءمت منها، كما حرصت أن تلبس بناتي فساتين مشابهة للون فستاني.

فرحتي في هذا الزواج فاقت فرحتي في الزواجين السابقين، ربما لأنني ظننته رد اعتبار، إلا أن وجوه الحضور قالت عكس ذلك.

أمي وأختاي لم تحضرا، وبعض القريبات أيضاً اعتذرن، بينما سيطر الوجوم على المكان.

بدخول آدم وجلوسه في نفس الكرسي، لاحظت أن النظرات حملت استهجاناً، فناديت ابنتي ضي وطلبت منها أن تقول لمسئولة

الأغـــاني أن تضع أغنية "يا بعدهم كلهم" لعبد المجيد عبد الله إهداء مني لآدم.

مـــا أن بـــدأت الأغنية حتى حملت فستاني وبدأت أرقص، لعدم إجادتي للرقص اكتفيت بالمشي وهز فستاني ذات اليمين وذات الشمال فارتفع منسوب الاستهجان في النظرات.

تباً لكم جميعاً.

جلـــست علـــى الكوشة وقلت لآدم لنقطع الكعكة ونصعد إلى غرفتنا.

- كعكة؟ مرة ثانية!!

رمقته بنظرة، فابتسم.

في غـــرفتي الـــتي تشاركت بها مع رجلين جلسنا وسط الشموع والـــورود التي حرصت على تنسيقها فيما طبق من الفاكهة مع صحنين علـــى الطاولة الجانبية وعصير فواكه مخلوط بمنشطات جنسية حصلت عليها عن طريق صحف الإعلانات.

شـــرب آدم كـــأس العـــصير بعد إلحاح شديد مني، فيما غيرت ملابـــسي وارتـــديت قميص نوم باللون الأحمر موشي بالريش الأسود اقتنيـــته مـــن محـــلات أنور لا محل يارا الباهظ بلا معنى، أليست قطعاً سأخلعها على أية حال بالسرعة الممكنة؟

انتظـــرت ما ستحمله لي تلك القنينة من مفاجآت بفارغ الشبق، المفاجـــأة صـــعقتني، فـــبدل أن يقبل عليّ بشغف، أمسك رأسه وبدأ يصرخ:

- صداع رهيب، أحضري لي مسكن.

فتحت الصيدلية المنـــزلية وأحضرت له Panadol بانادول، أخذ حبتين مع كأس من الماء واستلقى على الفراش ممسكاً برأسه:

- أطفئـــي الـــشموع، أغلقي مفاتيح الأضواء، أشعر بزغللة في العين، لا أدري ماذا حل بـــي؟

بعد مرور ساعة انتقلت الشكوى من الرأس إلى المعدة.

- آه، ألم في معدتي شديد، سكاكين تقطع بطني.

تراكضت إلى الصيدلية وأحضرت له دواء Motilium موتيليوم، ما أن تناوله حتى استفرغ ما في جوفه ونام منهكاً.

نهـــشني جوعـــي كـــذئاب تفترس نعجة، انظر إلى جثة الرجل المستلقي بجانبـــي في السرير فأتمنى أن أغرز أنياب خيبتي في جيفته.

سريري الملعون يجرد الرجال من شهواتهم، يجب أن أغيره.

يـــا لها من ليلة، قلت في نفسي وأغمضت عيني والدموع تنساب وتبلل المخدة.

16

نــــــزل خـــبر حمل يارا عليّ كصاعقة، والأدهى أنها نجحت في إخفاء الخبر إلى شهرها السادس من الحمل ربما لأنها تأخرت في الحمل أساساً فلم تحمل إلا بعد مضي ثلاث سنوات على زواجها المشئوم من فارس.

أول ما فكرت به هو أنني يجب أن أحمل، إلا أنني استبعدت فكرة المنشطات السيئة التي خربت ليلتي الموعودة.

راجعـــت دكـــتورتي ناهدة الولي، فعملت لي فحوصات كثيرة، أبلغتني بوضوح بأن الحمل بعد الأربعين صعب، لذا ستضطر لحقني بإبر هرمونات منشطة.

بـــدأت الإبر ولا أعرف كيف شك آدم في الأمر وقال لي دون مقدمات:

- اتفاقنا أن لا ننجب، أنا لدي أربعة أبناء بالكاد أوفر لهم حياة كـــريمة وأنت لديك ابنتان، طفل مشترك سيجعل حياتنا أكثر تعقيداً.
- ولكني أريد أن يكون لي ولد منك.
- ما كان أوله شرط فآخره نور.

آثار إبرة الهرمونات كانت دمامل وبثور ملأت وجهي، وعصبية غير عادية، فيما تولي آدم منع الحمل بطريقته الخاصة لأنه لا يثق بـــي.

أنجبت يارا صبياً أسمته نايف، على اسم والدها وإمعاناً من القدر في إيذائي، حملت سبأ ابنة خالتي حملا عنقوديا خارج الرحم ودخلت المستشفى ذاته في اليوم نفسه الذي ولدت به يارا.

توالت الأخبار عن كمية باقات الزهور وعدد المهنئين وسعادة فارس الذي ما برح غرفة ملاحظة المواليد يلتقط صوراً لابنه والجناح 202 الذي حجزه لها.

الشيكولاتة التي وزعتها ذهبية مغلفة بشريط أحمر ومكتوب عليها بخيوط التطريز الأحمر اسم المولود NAYEF بحروف إنجليزية يُقال أنها طلبيه من لبنان.

بعض القريبات وبسبب زيارتهن لسبأ زرن يارا لإغاظتنا أنا وأمي كما حرصن على رؤية الصبي في غرفة المواليد، ينتظرن عودة فارس إلى غرفة الأم ليلقين نظرة على ابنه، يقلن أنه يشبه فارس ولكنه أخذ من أمه عينيها الواسعتين ورموشها.

مولود عمره ساعات! كيف قررت النسوة السخيفات أنه يشبه فارس وبالتأكيد هو مغمض العينين، لماذا يؤكدن أن له عينيْ أمه، يا لكذبهن.

اتصلت بسبأ واعتذرت عن الحضور فتفهمت وقالت:

- معذورة، لام الله من يلومك.

طلبت ضي أن تزور زوجة أبيها في المستشفى لترى أخاها الصغير، فصفعتها لا شعوريا، أما ميّ فلقد أكلت الغيرة قلبها كونها لم تعد الصغرى عند والدها.

انقطعت يارا عن التدوين فشعرت بالراحة لأني لا أقرأ ما يثير غيرتي وفي الوقت ذاته شعرت بالعزلة عما يجري عندها، وبعد مضي أربعة أشهر على ولادتها عادت وكتبت:

منذ أن تحيز لي القدر
وألقاني بين ذراعي شاعري الجميل
وأنا أتقلب بين أبياته
الأنعم من فراش وثير من الريش الفاخر
منذ سنوات وهو يغازلني شعراً
ويعاتبني شعراً
يخاصمني شعراً
ويسامحني شعراً
ولكن ما أهداني إياه بالأمس كان مختلفاً لدرجة مربكة
كتب بيتين من الشعر على لسان والدي الأبهى من آلهة إغريقية
موجهة إلى ابني الأروع من موكب عرس امبراطوري
فإليكم هذه الأبيات من حبيبي... على لسان حبيبي... عن حبيبي

شغل الفؤاد حضور سبطي الأولِ
فاعذر شرودي يا سمير العبدلي(*)
إن حلّ يملك ساعتي ودقائقي
أو غاب عني ضاق واسعُ منزلي

بيتان كتبهما فارس على لسان أبيها نايف عن ابنها نايف، لم يكتب فارس بيت شعر واحد في بناتي، قرأت التعليقات وإذا بإحدى صديقاتها تقول:

يقول أهل الشام: إمسك الولد وشمُه محبته من محبة إمُه.

(*) العبدلي منطقة مزارع في الكويت.

تعليق آخر لصديقة أخرى

هـــنأك الله بمحبة حبيبك وحبيبك وحبيبك أيتها المحبة... واسمحي لي أن أهديك هذه الأبيات التي كتبتهاعلى لسانك:

مـــلأ الـــذي ملأ الفؤاد غرامه   بـــيتي بأبيات القصيد الأفضل

عمـــن شربت هواهما وغرامه   وسقيت آخرهم بكأس الأول(**)

لعنة الله عليها وعلى صديقاتها، هنّ يردن إغاظتي أنا على يقين من ذلك، يلعبن بالرجال بالدلال والشعر حركاتهن مكشوفة ورخيصة.

بـــدأت أنـــشر خبر أن يارا أنشأت مدونة لتغيظني، وأن كل ما تكتـــبه مـــوجه لي، لاقت الإشاعة الرواج الذي أردته، ودفع الفضول العـــشرات إلى قـــراءة ما تكتب، جزء تعاطف معي جداً والجزء الآخر تعلق بكتابات يارا وأصبح من معجبيها.

حـــتى آدم دللته على مدونتها ومن ثم أصبح يبدأ نهاره بها إلى أن نهرته فقال:

- لا تعجبني كتاباتها أبداً، أنا أقرأ لها من باب العلم بالشيء ومن بـــاب إن حصلت منها إساءة يجرم عليها القانون سأرفع لك قضية يا سلوى وأجرجرها في المحاكم، هذا قصدي افهميني.

سأصدقه لأرتاح مؤقتاً.

(**) البيتان للشاعرة سعدية مفرّح.

17

مولود يارا حظى باهتمام محيطي، تنقل وردة بنت خالتي:

- رأينا فارس مع يارا في مركز الصقر الصحي بالعديلية مع المولود للتطعيم.

- لم يذهب معي لتطعيم أي من بناتي.

- لغبائك ردت سناء، أتصور أنها تقول له تعال معي أنا أخاف وتدمع دمعتين فيشعر بالرغبة في حمايتها ويحبها أكثر، أما أنتِ فكنت تفردين عضلاتك لتغيري اللمبات المحترقة، تذهبين للكراج لإصلاح سيارتك، تحملين الحقائب في السفر كأفضل حمّالٍ حتى انتهى بك المطاف إلى لقب بو عبد الله.

يتدخل عبادي بصوته الناعم:

- صادفتها وهي حامل في السينما فأسميناها أنا وحميدان ومجودي Hot Mama وبعطلة العيد رآها صديق لي بجزيرة موريشوس في فندق أوبروي Oberoi ذي الستة أنجم، يقول صاحبي بدران بو نوط أنه رآها ترتدي لباس البحر البكيني بلونين بنفسجي وأبيض وعلق بأن قوامها جميل، فقلت له بأنها أنجبت منذ ستة أشهر، شهق وقال: بطنها خالي من الشقوق تماماً كالأوربيات، وحين ميزت أننا خليجيون لفت نفسها بوشاح ودخلت إلى الفيلا المطلة على البحر التي تنزل بها وزوجها.

أردف عبادي:

- أود أن أفهم لماذا تتحرج الخليجيات من ارتداء لباس البحر بحضرة خليجيين ولكنهن لا يتحرجن أمام كل رجال العالم؟

- نفاق وقلة أدب، رددت بانفعال، أكاد لا أصدق أن فارس يسمح لزوجته بهذه الدرجة من العري.

- يقول صاحبي أن زوجها يغار عليها جداً، فلقد حجزا لرحلة صيد أسماك وحين عرف أن ثلاثة شباب خليجيين سيكونون معهم، ألغى الرحلة وحجز رحلة خاصة لهما فقط وأردف بدران: مع أني والشلة لا نثير المخاوف، أليفين جداً!!

- هل كان الطفل معهما؟

- لا أظن، رد عبادي فصديقي ظنهما بشهر عسل، فصلّحت معلوماته.

سرح بي الخيال إلى آخر رحلة لي مع فارس تلك التي كانت لأميركا، استعرض الشريط وكيف كان يمسك ضي ومي بيديه ويجوب بهما وكأنني غير موجودة أو كأنه يتمنى لو اختفيت، ألهث لألحق بهم وهو يسرع الخطوات هارباً، في هاواي قال لي بصراحة:

- شكلك غلط على الشاطئ، أدخلي إلى الغرفة أفضل.

لم أتأثر وظللت مستلقية على كرسي البحر بحجابي الأبيض وجلبابي أشرب عصير فاكهة وأستمتع بالمنظر الخلاب.

قلت له:

- فارس، أريد منك أن تأخذني لشاطئ خاص حتى أتمكن من السباحة.

- لا أراها فكرة جيدة.

- لماذا؟

- لأن هذه هاواي وليست شط العرب؟

اتصلت بآدم:

- أريد منك ستة أيام إجازة آخذك بها إلى موريشوس، ما رأيك؟ هدية مني؟

- ما المناسبة؟

- زوجي وأريد أن أستفرد به بعيداً عن مشاغل المكتب والقضايا والتزامات الضرة والأبناء والأهل، حرام؟

- لا ليس حرام، ولكن موريشوس جزيرة غير مناسبة، ما رأيك أن تدعوني إلى ألمانيا؟

سافرنا إلى ألمانيا، وطوال أيام الرحلة كنت أفكر بموريشوس، أسررت لآدم فرد:

- أنتِ تبتغين الأجر من الله وسيعوضكِ خيراً؟

- من يضمن لي أن لا تدخل يارا الجنة؟

- لن تدخل، أنا أضمن لك فهي ليبرالية وغير محجبة والنار مصيرها يا سلوى، رد آدم.

في ألمانيا لاحقتني نظرات امتعاض، النادلة الألمانية تلبي طلبات كافة الزبائن وتتركني، البائعة الألمانية في المحل تتجاهل وجودي، سائق التاكسي الألماني بالكاد يرد علي بوجه عليه علامات الاستياء.

سألت آدم:

- هل لاحظت؟

ضحك وقال:

- يظنونك تركية، فمظهرك وحجابك يوحي بأنك من الأتراك الذين نزحوا إلى ألمانيا وزاحموا شعبها في الوظائف قابلين بأجور منخفضة جداً.

ســرحت أفكر: تذهب يارا إلى موريشوس فيقول المخنث صديق قريبــي المخنث بأن لها قوام أوربــي، أذهب أنا لألمانيا فيظنوني لاجئة نازحة تركية، ولكن تركيا أيضاً أوربية أبتسم فيسألني آدم:

- ما بك؟

- لا أبداً، سعيدة بأني معك.

بـناتي كــن مصدر معلومات جيد حول يارا على الرغم من أنها تتجنبهن بشكل واضح ووقح، تقول لي مي:

هــي تتدرب يوغا في نادي اسمه BODY & SOUL، تعود من عملــها وتقــضي ســاعتين مع نايف ثم تذهب لليوغا يومي الاثنين والأربعاء في تمام الساعة السادسة.

اتــصلت بالــنادي وعرفت أن الدرس في هذا التوقيت هو درس متقدم وجماعي، سجلت به وادعيت بأنني متمرسة في اليوغا.

في الــيوم الموعــود، ذهبت ودخلت إلى القاعة، أرضيتها خشبية وإنارتهــا خافــته والشموع مضاءة في الزوايا مع زيوت عطرية، ثلاث فتــيات يجلــسن على قطع من اللباد يتربعن وظهورهن مشدودة فيما أذرعهــن مرخاة على ركبهن والأصابع ثلاثة ممدودة والإبهام والسبابة متلاصقان يشكلان حلقة دائرية.

تغمــض الفتيات أعينهن بسكون، لهن قوام متشابه وشعر مسرح بشكل ذيل الحصان القصير، لم أتبيّن في الظلام إن كانت إحداهن يارا يــرتدين زيا متشابها عبارة عن بنطال قطني واسع وتي شيرت ضيقة بلا أكمام.

دخلت المدربة الهندية بجلبابها الهندي الموشي بلونين برتقالي وأحمر وشــالها الجمــيل المطرز الذي تتناثر عليه حبات الترتر الأحمر اللامعة، شابة في منتصف العشرينيّات، جميلة الملامح بشعر فاحم ناعم وطويل.

جلـــست وظهرها إلى الحائط المقابل لنا ووجهها باتجاه المتدربات حيّت الحضور بابتسامة لكل واحدة مع هزة رأس ثم قالت لي:

- أهـــلاً بـــك في فصلنا.. إنه فصل لليوغا المتقدمة، فهل لي أن أعرف منذ متى وأنتِ تمارسين اليوغا؟

أجبت بلا تردد:

- منذ أربع سنوات.

ألتفت البنات نحوي حيث اتخذت مكاني في آخر القاعة.

هـــا هـــي يـــارا بعينيها اللوزيتين مفتوحتين باندهاش لأنها رأتني وعرفتني.

- ما اسمك؟ سألت المدربة.

- سلوى، أجبت.

قالت المدربة:

- أنـــا اسمي هانا والشابات يارا، عبير ونور، تلميذاتي منذ زمن طويل، أتمنى أن تندمجي معنا وتستمتعي بالدرس، سأراعي أنها أول مرة لكِ معنا فلا تخافي.

بدأ الدرس بشيء يشبه الصلاة، تقول المدربة وهي مغمضة العينين في الوضعية التي رأيت عليها البنات حين دخلت القاعة:

- أووووووووم شانتي شانتي شانتي

وهـــن ترددن معها في الوقت ذاته بصوت خاشع ثم يعم الصمت ولا أسمع غير صوت الشهيق العميق والزفير العميق يشبه فحيح الأفاعي.

- وضعية الفراشة، قالت المدربة.

أي فراشة تساءلت؟

وإذا بالفتيات في وضع جلوس يثنين ركبهن للخارج ويضعن قاع أقـــدامهن علـــى بعـــض وكأنهن يصفقن بأرجلهن وبعد ذلك يحركن

أرجلهن المثنية إلى الأعلى والأسفل في حين أياديهن تمسك بمنطقة الكعب وجذوعهن مشدودة ومستقيمة.

منظر مضحك!!

وتوالت الحركات السخيفة من وضعية الفراشة إلى وضعية الكلب إلى وضعية أفعى الكوبرا إلى وضعية الجسر إلى وضعية الكرسي إلى وضعية السمكة.

تحاول المدربة مساعدتي لكن دون جدوى، وفي وضعية الشجرة، طلبت منا الوقوف باستقامة ثم ثني رجل واحدة إلى الخارج ووضع القدم عند الركب مع مد اليدين إلى أعلى وضم الكفين في وضعية صلاة البوذيين فوق الرأس، منظر المتدربات يشبه بعض النقوشات الآسيوية على الأقمشة والتحف الخشبية والنحاسية.

لم أتمكن من الثبات، فقدت توازني ووقعت أرضاً، تجاهل الجميع سقطتي إلا اللئيمة يارا التي صدرت عنها ضحكة مكتومة.

- هل أنت بخير. سألت المدربة.
- نعم، أجبت بحنق، فيما أنا لست بخير أبداً، أشعر بألم في ظهري وركبتي مكدومة.

بعد الوضعيات العبيطة، جلسنا من جديد على اللباد بأرجل متصالبة مثنية، حان وقت تمارين التنفس، وجهتنا المدربة، نغلق المنخر اليمين ونتنفس من اليسار شهيق زفير شهيق زفير عشر مرات ثم نغلق المنخر اليسار ونتنفس من اليمين بالطريقة ذاتها، بعدها نأخذ شهيق من المنخر اليسار ونغلق المنخرين برهة ثم نخرج الزفير من المنخر اليمين ونأخذ الشهيق من المنخر نفسه اليمين ثم نغلق المنخرين ونخرج الزفير من المنخر اليسار.

عبط وسخافة يليقان بيارا، ما هذا؟ اليوغا تدريبات بمنتهى الغباء.

في النهاية طلبت منا الاستلقاء على الظهر وقادتنا نحو رحلة استرخاء، صوت الموسيقى الهادئة التي تحمل بعض أصوات الطبيعة وصوت المدربة الناعم يطلب منا أن نرخي كل جزء من أجزاء جسدنا بالتالي، تخيلي سيل من الضوء الأبيض النقي يصب على رأسك فتسترخي كل عضلات الوجه والفك والعينين والرقبة، ينتشر الضوء في منطقة الصدر فتسترخي العضلات ثم البطن والذراعان ثم على امتداد الرجل اليمنى يمر الضوء فيرخي كل خليه، ثم الرجل اليسرى يمر منها الضوء فتسترخي تماماً.

أنت الآن مسترخية تماماً، كل أفكارك العابرة أطرديها، الآن فقط عيشي متعة هذه اللحظة، استرخاء لذيذ وجسد خالٍ من التشنج والقلق، أنت أقرب لريشة خفيفة يهزها نسيم لطيف، استمتعي بهذا الشعور الآن وفي هذه اللحظة بالذات.

غفوت وصحوت على لمسات من المدربة وابتسامتها المشرقة تقول لي: لقد نمتِ انتهى الدرس.

نهضت بسرعة وإذا بالفتيات قد غادرن.

قبل أن أترك القاعة قالت لي:

- هذا الفصل ليس بمستواكِ، لذا سأنقلكِ إلى صف المبتدئين إن شئتِ.

يلعن أبو اليوغا، قلت لنفسي، هل دوماً يجب أن أكون متأخرة خطوة عن كبيرة الحظ يارا؟ خرجت من النادي و لم أعُدْ إليه أبداً.

آدم زوج بدوام جزئي، يشبه خادماً منزلياً إقامته ليست على رب المنزل، بإمكانه الرحيل دون إخطار مسبق، يزورني ليلتين في

الأسبوع ويستخدم انشغالاته والتزاماته تجاه زوجته الأولى وأولاده ذريعة لمعاقبتي حين أتوانى أو أتردد في تنفيذ طلباته المادية.

كما أن عبارة: "الليلة أنا تعبان" يرميها بوجه جوعي كأسلوب عقاب، أحياناً أشعر أنني كالرجال الذين يدفعون مقابل الجنس لمومس، الفرق أنني أدفع أكثر، فطلبات آدم بعشرات الآلاف، يوم سيشتري سيارة لولده بلال، ويوم عملية والدته في مستشفى خاص، ويوم مشروع يريد أن نتشارك فيه، وكل تردد من قبلي يعني غياباً طويلاً وحرماناً جسدياً أطول.

لا أريد أن أُطلّق للمرة الثالثة وهو يعرف ذلك، كما أنه لا يريد أن يطلقني لأنه سيضطر لدفع مؤخر صداق قيمته ربع مليون دينار كويتي.

أحاول أن أظهر معه في الأماكن العامة قدر المستطاع لأرد الشائعات التي تطلقها زوجته بأنه عاد إليها وتركني.

وهو حريص على الظهور معي فقط في حال تلبية طلب مهم له بمبلغ وقدره.

كلما ابتزني آدم كلما حقدت على فارس، كيف لي أن أصل لفارس؟ إن منعت عنه بناته فهذا ما تريده زوجته بنت الحرام، لا سبيل إلاّ في استكمال درب القضايا.

اتصلت بمحاميتي وقلت:

- أود أن أرفع قضية على فارس حتى يأخذ بناته، أنا الآن متزوجة لم لا يأخذ بناته مني؟
- طبقاً لقانون الأحوال الشخصية، فارس هو آخر من يحق له أن يكون حاضناً للبنات فالحضانة للأم ثم لوالدة الأم ثم لأحد أخواتها ثم لأم الزوج ثم أخواته وحتى الخالات والعمات من الجهتين يدخلن وفي النهاية تكون له.

- هــل سمعتِ بالمنحة الأميرية البالغة مائتي دينار، أريد أن أرفع قضية لآخذها بصفتي حاضنة.
- ممكن تقديم طلب للجهات الحكومية وعلى أساسها يتم صرف المنحة لكِ لكونكِ الحاضنة بأمر قضائي؟
- ما العمل؟ أريد أن أرفع قضية.
- مــر زمــن طويل منذ القضية الأولى التي كسبت فيها ستمائة دينار منه ودفعتِ لي ثلاثة آلاف دينار وقتها أتذكرين.
- حـــلال عليك، تستأهلين، فكري لي بقضية؟ ولو يكون فيها سجن أحسن.

ردت ضاحكة:

- سجن مرة واحدة، القانون لا يجرم الرجل الذي يطلق زوجته ويتزوج بنت صغيرة.

شعرت بالمهانة فقلت:

- ما لي وزوجته، أنا أرفع عليه قضايا لأنه مهمل لبناته؟
- ألم تقولي في البداية أنك تريدينه أن يأخذهن؟
- هل أنت محاميتي أم محامية من؟
- أنــا محاميــتك، وعلى استعداد لرفع قضية طلب زيادة نفقة بــسبب غــلاء المعيــشة، كما يمكننا رفع قضية نطالب بها بجوازات سفر البنات إن كانت عنده.
- على بركة الله، ولا تنسي أرجوكِ إرسال إخطار القضية لمكان عمله.

سألتني جهاد:

- ما رأي زوجك زميلنا آدم البلال بهذه القضايا ولماذا لا يكون هو محاميك؟

- هو محامي العائلة في الشؤون المالية ولكن موضوعي مع فارس حساس وهو يغار علي لذا يتجنبه، صدقيني آدم لا يريد أن يتذكر أنني كنت يوماً لرجل آخر.

- ما شاء الله، الله يتمم قالتها بطريقة لم تعجبني.

القانون يجرم السرقة، وفارس سرق سنواتي وسرق مني ثقة مؤقتة بالنفس وكرامة حظيت بهما حين كنت معه، بسببه تزوجت آدم وصبرت عليه وقبلت بالزواج منه للمرة الثانية واضطررت لتلبية طلباته كي لا يتركني مجدداً، ياه يا فارس هل من العدالة أن تبدأ من جديد وتكوّن أسرة وكأن شيئاً لم يكن؟

إهمالي للبنات هو أحد أوجه لفت نظر فارس، أتعمد أن أتركهن في المدرسة بعد انتهاء الدوام على أمل أن يأتي هو لاصطحابهن إلى المنزل وربما يتصل بي ليؤنبني.

في المرة الأولى نجحت الخطة، اتصلن بي فلم أرد فاتصلن به وقام هو بتوصيلهن، كنت في البيت وسعدت وأنا أرى سيارته تقف عند باب بيتي في وقت استعرت به سيارة آدم ليراها فارس عند باب بيتي الذي كان يوما بيته.

بعد عشرة أيام، كررت الأمر ولكن رد فارس للبنات كان:

- أنا خارج البلاد، اتصلن بأمكن ثم جدتكن ثم خالاتكن وأخيراً المخفر.

أغلق باب الابتزاز هذا بأسرع مما توقعت، أتعمد أن تلبس بناته أرخص الثياب خاصة في المناسبات العامة لأقول بأن أباهن لا يدفع لهن.

أغدق في أول سنتين من الطلاق على البنات بالملابس والهدايا من أسفاره، ولكن مع مرور الزمن تضاءل هذا حتى لم يعد له أثر.

ترى، هل تمنعه يارا؟ أم هو مشغول بولده نايف؟

يوم الأربعاء هو يوم البنات مع أبيهن، لم يعد يوماً مقدساً، يعتذر عنه بأنه مشغول أو يعاني من صداع أو سيسافر في الغد ويريد أن يتابع التجهيزات.

اشتكيت لأمي وأخواتي، ردت نهاد:

- كلما سببتِ له مشاكل كلما ابتعد عن بناتك حتى لا يذكرك، مـــاذا يذكر حين يراهن؟ القضايا التي ترفعينها بلا طائل، حتى الجوازات كان بإمكانك طلبها منه عن طريق البنات.

ردت سناء:

- كلـــنا يكون لنا انشغالات فإن انشغل عنهن فترة فهذا لا يعني شيئاً، حتى ضي ومي بأن تكون علاقتهن بوالدهن طيبة.

أمي الوحيدة التي تفهمني في هذا الأمر، ردت.

- عمـــى بعينه هو وبنت إبليس، يريد أن يتنكر لبناته وكأنه لم يخلفهن.

بدأنا ننشر الأقاويل بأن فارس لا يرى بناته أبداً وأنهن يتوسلن إليه ليرينه، فما كان منه إلا أن ابتعد أكثر.

تعلق نهاد:

- أنت وأمي، احتار من منكن أغبى من الأخرى؟ حين تشيعان أن الرجل لا يرى بناته فسيجدها أسهل لأن الخبر شاع، رغم أنـــه يراهن بانتظام فماذا لو لم يرهن ماذا سيحدث؟ كما أن إشاعة أنه لا يدفع للبنات دفعته لتقليل الهدايا إلى أن اختفت.

- حرام عليك نفسك وبناتك، تعلق سناء.

18

أمـــي تكـــره آدم بـــنفس قدر حبها القديم لفارس إلا أنها تختلق الأكاذيب أمام صديقاتها وقريباتها تقول:

- لم أر ســـلوى سعيدة في حياتها كما رأيتها مع آدم، هو رجل بمعنى الكلمة يدللها ويلبـــي طلباتها، لقد ازداد جمالها من يوم أن تزوجته.

تسأل قريبة متخابثة:

- هل صحيح أن زواج سلوى من آدم زواج مسيار؟
- ماذا يعني مسيار؟ تساءلت أمي.

فأجابتها محامية حديثة التخرج من قريباتي:

- زواج المـــسيار هـــو أن يعقد الرجل زواجه على امرأة عقدًا شـــرعيًا مستوفي الأركان، لكن المرأة تتنازل عن حقوقها في السكن والنفقة.
- لا، هـــذه شائعات الحساد؟ هو أصلاً يريد أن يخصص لها فيلا في أرقـــى المناطق ولكن سلوى لا تقوى على البعد عن بناتها وأبوهن فارس لا يريدهن أن يسكن في منـــزل رجل غريب، لا يرحم ولا يترك رحمة الله تنـــزل، أما النفقة فهو ينفق عليها أضعاف زوجها التعيس السابق.

تسأل أم دعد:

- والله كلام الناس أنها تصرف عليه.

ترد أمي بحدة:

- الله أكـــبر على المفترين، آدم أغرق سلوى بالهدايا والمجوهرات حتى لم تعد خزنة مجوهراتها تتسع فاقتنت خزنة أخرى أكبر.

سألت أم رياض:

- هل زواج المسيار هو نفس زواج المتعة لدى الشيعة؟

ردت أمي:

- سلوى متزوجة زواج عادي مثل باقي خلق الله، لا مسيار ولا متعة ولا غيره.

هنا قفزت المحامية الشابة المتذاكية وقالت:

- لا يـــا خالـــة، زواج المتعة عند الشيعة مختلف، تعريفه هو أن يتـــزوج الـــرجل المرأة مقابل قدر من المال مدة معينة، ينتهي الـــنكاح بانتهائها من غير طلاق، وليس فيه وجوب نفقة ولا سكن ولا توارث يجري بينهما إن مات أحدهما قبل انتهاء مدة النكاح.

تجرأت باقي النسوة فقالت شفيقة صديقة أمي اللدودة:

- سمعت شيخ دين يقول أن زواج المتعة وزواج المسيار ما هما إلا دعارة بالحلال.

سألت أمل ابنة عم أمي:

- هل ترثه سلوى لو مات؟

قالت أمي:

- فال الله ولا فالك.

تسأل أم دعد:

- ماذا عن زوجته الأولى، ألا تسبب لابنتك مشاكل؟

- لا، هو أصلاً لا يريدها ولكن أبقاها من أجل الأولاد وسلوى تتحايل عليه ليعدل بينهما، وأصلاً كما يقول المثل: "ما يتشاركون إلا بنات الحلال".

ترد أم رياض:

- ما هذا الكلام يا نورة! لا بنات حلال ولا حرام! لا نريد أن يتزوج أحد على بناتنا، أن تتزوج بنتك رجل لديه زوجة أخرى لأن ظروفها صعبة لا يعني أن نردد مثل هذا المثل.

تعود أمي من هذه الحروب النسائية المدججة بالكلام الملغوم مثقلة بالهموم، تكرهني لأني اضطرها لمثل هذه الأكاذيب، تتصل بي وتنقل لي كل ما دار حتى لا تحزن وحدها تأبى إلا أن أشاركها القهر.

بناتي فهمن تعطشي لأخبار زوجة أبيهن فصرن يقايضن الأخبار بالمال والطلبات لأني أقتر عليهن، مي أكثر صلابة من ضي، لا تشبه أحداً منا كشخصية، أما ضي فهي نسخة مصغرة من نهاد، قالت مي بحزم:

- لدي خبر عن خالة يارا ثمنه فستانان جديدان من محلي المفضل.

- يعتمد على الخبر أجبت.

قالت ضي:

- ثمنه فستانان لكل منا، خاصة أنه خبران بخبر، مثل شامبو وبلسم أثنين في واحد.

بعد مفاوضات وافقت على طلباتهن فقالت مي:

- خالة يارا استقالت من عملها وستدرس ماجستير إدارة أعمال MBA في جامعة خاصة بدوام جزئي بعد الظهر، اسم الجامعة غريب نوعاً ما وستبدأ الدراسة في سبتمبر القادم.

قـــضيت شهر يوليو في البحث والتقصي عن الجامعة والشروط، وقـــدمت اختـــبار قـــدرات اللغة الإنجليزية التوفل، عزمت أن ألتحق بالجامعة معها ففي هذا البرنامج لن تسبقني كما في اليوغا.

لن أستطيع أن أقدم استقالتي من عملي كما فعلت هي لأني بحاجة إلى راتبـــي مما يعني جهداً مضاعفاً، القدر دوماً يخصني بتعب أكثر.

نفقـــات الدراسة كانت مرتفعة، وشغلني سؤال: هل ستدفع يارا من مالها الخاص أم سيدفع لها فارس؟ وكيف لي أن أصل للإجابة؟

دفعت ضي لسؤال أبيها فجاء الرد:

- هذا ليس من شأنك.

بـــرنامج الماجستير مدته سنتان، عبارة عن عدد من المواد ندرس كـــل مادة على حدة ونقدم امتحانها ثم نبدأ غيرها، أيام الدراسة ثلاثة أيام بالأسبوع إما أحد وثلاثاء وخميس أو سبت وأثنين وأربعاء وفترتان مـــن الـــرابعة عـــصراً إلى السابعة ومن السابعة والنصف إلى العاشرة والنصف مساءً.

أربعة مجاميع! في أي منها ستكون هي؟ دخلت إلى قسم التسجيل وإذا بـــصبية فاتنة بشعر ناعم قصير تجمع غرتها بدبوس شعر على جهة الـــيمين، تجلس وراء مكتب مليء بطلبات التحاق، على المكتب لوحة خشبية محفور عليها اسمها بأحرف إنجليزية، صفاء اللبيب.

- هـــاي، حييتها حتى أكسر حاجز الشكل المتدين وأبين لها أنني عصرية بروح شبابية.
- هاي، تفضلي، كيف لي أن أساعدك، قالت بلطف.

- أنـــا سلوى السوسي وقد سجلت في البرنامج لسبتمبر القادم وأود أن أكـــون مع صديقتي يارا النايف، هي مسافرة حالياً، لذا لم أتمكن من سؤالها عن الأيام والأوقات التي اختارتها.

تغير وجه الفتاة وشعرت بارتباكها فقالت:

- لا أدري، حالياً لم أراجع كافة الطلبات.

- شكراً، قلت وخرجت.

لماذا ارتبكت الصبية؟ هل تعرف من أنا؟ هل هي صديقة ليارا أو قريبة أم ماذا؟

لم أجـــد بداً من سؤال لمياء لأنها من المحيط ذاته، رغم أنها تتهرب من الإجابات إلا أنني ألح وأزيد في الإلحاح:

- أخت صفاء هي زوجة ابن عم يارا.

انتظرت إلى أن تم إعلان المجاميع الأربعة وتعليق الأسماء على لوحة الإعلانات في الكلية، مررت على الأسماء وإذا بيارا في مجموعة أخرى، بـــلا تردد ذهبت لعميدة الكلية وقلت لها: لقد طرأت بعض التغييرات علـــى ظـــروف عملـــي وأريد أن أغير مجموعتي إلى المجموعة الفلانية، وافقـــت وحولـــتني علـــى صفاء التي قابلت طلبـــي بابتسامة مرتجفة ونظرات تحمل تساؤلات ووعدتني بتلبيته.

ما أن خرجت حتى رأيتها تتحدث على الموبايل بصوت منخفض.

هـــل تـــراها تخـــبر أختها لتخبر زوجها ليخبر يارا أم أنها اتصلت بها مباشرة؟

بـــدأت الدراسة وارتديت بنجابـــي من قماش الجينـــز، صممته خصيـــصاً ليتماشـــى مـــع الروح الشبابية للكلية، قمت بتمارين الثقة واجهت مرآتي وهتفت بصوت مسموع:

أنا قوية أنا ذكية أنا ناجحة أنا شابة أنا جميلة.

دخلت الفصل وأنا مرتدية ابتسامتي التي وزعتها على كل الحضور، اخترت مكاناً في المقدمة، العودة لمقاعد الدراسة مع عمل بدوام كامل مرهق بلا شك ولكنها فرصة ذهبية لأثبت لتلك المغرورة بأني مثلها وأفضل.

لم تحضر يارا لا في يوم الأحد ولا الثلاثاء ولا الخميس انتهى الأسبوع الأول ولم أرها، أترقب دخولها من باب الفصل، أبحث عنها في الممرات ولا أثر لها.

فوجئت بأنها غيرت مجموعتها إلى سبت وأثنين وأربعاء!!

هل تخشى أن تواجهني تلك الجبانة؟

لم أتوان عن طلب تغيير المجموعة للمرة الثانية، ولكن طلبي قوبل برفض قاطع ونظرة شفقة من صبية التسجيل إياها.

في يوم اللقاء العائلي لدي أهلي، اجتمعنا على المائدة فقال مؤيد ضاحكاً:

- يوم شاب ودّوه الكتّاب! يقال أنك عدتِ لمقاعد الدراسة ما الأمر؟

أجابته زوجته:

- لأنها عرفت أن زوجة فارس تدرس ماجستير، فأبت إلا أن تدرس هي أيضاً.

تدخل عارف:

- معقول، أن تصل غيرة النسوان لهذه الدرجة! طيب لماذا لا تغارين من زوجة آدم؟

هنا تدخل آدم وقال:

- رجاء، زوجتي الأولى امرأة في حالها ولا أسمح لك بأن تذكرها بحديثك أبداً.

رد مؤيد:

- ما رأيك في أن زوجتك تلاحق زوجة طليقها؟

امتعض وجه أمي وتدخلت:

- مـــؤيد، هذا موضوع لا مزاح فيه، سلوى لديها طموح قديم ولا يجـــب أن تتراجع عنه لمجرد أن زوجة طليقها تدرس هي أيضاً.

ابتسمتُ برضا، وأكمل آدم أكله بتلذذ.

بعـــد أن انفض الرجال وجلسنا أنا وأمي وأخواتي وحدنا، قالت سناء:

- فكـــرة ملاحقتك ليارا غير سديدة إطلاقاً، إنها مجهود ضائع، ركزي على حياتك الجديدة، زوجك الجديد، بناتك وعملك.

- هل صدّقتِ أنني ألاحقها؟ إنها مجرد صدفة سخيفة لا أكثر ولا أقل.

قامت نهاد وقالت:

- سأتناول المزيد من الحلويات، فنقاشكن لا طعم له.

الدراسة كانت مملة إلى أن عرفت من بعض الطالبات أنه في حال التغـــيب عـــن محاضـــرة مـــن الممكن تعويضها بالحضور مع المجموعة الأخرى.

جـــاء الفـــرج، أبلغـــت الأستاذة أن ليس بإمكاني حضور درس الأحد، لذا سأحضر السبت مع المجموعة الأخرى.

وقفت أمام المرآة أصلح من شأني، وقررت للمرة الأولى أن أضع بعض أحمر الشفاه ثم أمسحه بمنديل ورقي.

دخلـــت الفـــصل وتوجهت للمقدمة، اخترت مقعدا فقالت لي طالبة:

- عفواً هذا مكان صديقتي

انتقلت للصف الثاني، فقال طالب:

- يبدو أنك لست من مجموعتنا، هذا مكان زميلي.

فجلست في الصف قبل الأخير أترقب دخول ست الحسن والدلال.

دخلتْ قبل بداية المحاضرة بثلاث دقائق، ترتدي تنورة واسعة تصل إلى الركب بالألوان الأزرق والأحمر والرمادي والأصفر والأبيض مع كنزة صوفيه رمادية بأكمام قصيرة وجوارب رمادية وحذاء بكعب عال، حاولت أن ألمح قاعه فإذا به أحمر، أليس هذا من الماركة التي تكلمت عنها نهاد؟ ما اسمها يا ربي! لا يهم.

رمقتني بنظرة حادة، وأبطأت من خطواتها لتمشي بغنج أكثر، لم تسلّم على الحضور، بل كانوا هم يتوددون إليها.

جلست وأخرجت كتبها ودفاترها وأقلامها، أرسلت رسالة هاتفية ثم تلقت أخرى فكتمت ضحكتها.

هل تراها عني؟ من صديقة لها أم من فارس؟

بدأت المحاضرة في مادة التسويق وكان الحديث عن تطوير المنتج وهل هو دائماً في مصلحة الشركة أم لا؟

بعد بعض المشاركات، قررت أن أُدلي بدلوي:

- تطوير المنتج وتغييره دائماً في مصلحة الشركة لأن المستهلك بطبعه ملول ويحب التغيير فالناس تأكل في مطعم ثم تسأم منه وتجرب غيره.

جلت بنظري لأرى وقع حديثي على وجوه الطلبة.

سألت الأستاذة يارا:

- ما رأيك يارا؟ لم نسمع صوتك حتى الآن؟

لماذا تطلب من يارا أن ترد علي؟ هل تلك الأستاذة الدانماركية تعرف أن يارا زوجة طليقي؟

ردت بهدوء:

- يعتمد على المجال، فهناك مجالات يستحسن بل ويجب فيها التطوير المتسارع وإلا ستخسر الشركة عملاءها وهذا ينطبق على التكنولوجيا من هواتف نقالة وأجهزة كمبيوتر وفاكسات وطابعات ووسائل النقل وسواها ولكن هناك مجالات إذا غيرت في المنتج فستخسر العميل الذي ارتبط بالمنتج بشكله الحالي، فمثلاً شركة نستله منتج حالي لشيكولاتة الكت كات الشهيرة Kit Kat حاولت أن تطور المنتج، فأنتجت أصنافا من الكت كات Kit Kat بنكهة البرتقال والفراولة والشاي الأخضر وقهوة الكابتشينو، والنتيجة أن هذا التطوير الذي كلف أموالا طائلة في البحث واختيار النكهات ثم تصميم الأغلفة والترويج لها كان فاشلاً جداً لأن العميل يحب الكت كات Kit Kat كما هو بغطائه الأحمر ونكهة شيكولاتة الحليب المغلفة للبسكويت الخفيف الهش، الخلاصة أن تغيير المنتج وتطويره ليس أمراً ناجحاً على الدوام والقول بأن العميل يمل أيضاً لا يصلح لأن يكون بالمطلق فجزء من الإنسان يظل وفياً لبعض المنتجات.

- رائع، هتفت الأستاذة باستحسان.

سأشكو هذه الأستاذة، بالتأكيد أن بنت إبليس قد قدمت لها رشوة لتعينها على إحراجي، كيف رتبتا لهذا الحوار؟ هل تدربتا معاً بعد أن أخبرت الأستاذة أنني سأحضر درس السبت؟

المحاضرة ثلاث ساعات، يتخللها ربع ساعة استراحة، في الاستراحة، مرت بقربي بكعبها العالي الذي تدق فيه الأرض لتقول: أنظروا إلي، رمقتني بنظرة من قدمي حتى رأسي، رمشت عينها رمشة واحدة وأدارت وجهها.

مغرورة تافهة، قلت في نفسي.

في الليلة ذاتها، فتحت مدونتها وإذا بها تكتب...

بيت اليوم

حَمْقاءَ يَطغى الغيظُ بين سُطورِها وتَـشُبُّ بالشَّنآنِ منها الأحرفُ

أحمد محرم

أسوأ أنواع الحمقاوات اللواتي يهرفن بما لا يعرفن

تقصدني المتعجرفة، اتصلت بآدم الذي كان عند زوجته الأولى، اضطر أن يرد علي من الحمّام، وقرأت له ما كتبت وقلت:

- أريدك أن ترفع عليها قضية؟

- لا يوجد ما يدل على أنها تقصدك.

- ولكنني تكلمت اليوم في المحاضرة.

- نامي الآن وسأحدثك في الصباح، قال هامساً بحذر.

لم أحضر مجدداً ضمن مجموعة يارا والتزمت بمجموعتي أجر رجلي جراً إلى المحاضرة، أقوم بالواجبات على مضض وأذاكر لامتحان شهادة لا أريدها أساساً، صادقت بعض الطالبات وحاولت كسب ودهن، إحداهن اسمها إيمان السادة، بدت سعيدة بصداقتي وقالت لي يوماً:

- حجابك يشي بأنك من جماعة الإخوان وهم عادة لا يحتكون بالشيعة إطلاقاً حتى أنهم يكفروننا، كم أنتِ إنسانة مختلفة، يشهد الله أني أحببتك.

تطــورت علاقــتي بها حين عرفت أن أختها فاطمة تدرس مع مجموعة يارا.

قالت يوماً:

- أختي تدرس مع المجموعة الأخرى وهي مهندسة، لذا كثيراً ما تــشرح لي كمــا أنها زودتني بملخصات وزعتها عليهم طالبة اسمها يارا.

أعطــتني نسخة، وإذا بكل صفحة على الحاشية وبخط صغير اسم يارا النايف بالإنجليزية.

- هــل ستنــزل انتخابات؟ لماذا توزع ملخصات تحمل اسمها؟ سألت:

فردت إيمان:

- لا أدري، ولكن هناك انتخابات لكل مجموعة تختار من يمثلها لدى الإدارة الجامعية وستكون في الأسبوع القادم.

- سأترشح، قلتها بلا تردد.

اتــصلت بكل الطالبات، وبعثت بإيميلات لكل الطلبة وأحضرت دونــت مــن محــل كريــسبــي كريم ووزعته على الصف وفي يوم الانتخابات اكتشفت أنني الوحيدة التي ترشحت ففزت بالتزكية.

ســألت إيمــان عــن مجموعة أختها فاطمة، فقالت أن شابا فاز بالتزكية.

مــاذا عــن يارا؟ قلت في نفسي، لماذا لم تترشح؟ هل ترشحت وسقطت؟ أتمنى ذلك!

تعاملت مع كوني ممثلة الفصل بأنه خطوة تجعلني أتفوق على تلك المغــرورة، وبدأت أتقرب لكافة الطلبة، أسعى لتأخير القسط الجامعي لفــلان لأنه سيدفعه بعد أسبوع وأطلب إعادة تصليح ورقة فلان عله

يـــنجح هذه المرة، أصور المحاضرات لطالبة حامل ولا تستطيع الحضور لأنها متعبة وأطلب وقف قيدها في هذه المادة فقط.

شـــعور جيد أن يلجأ لي الطلبة وأحل مشاكلهم، انغمست فيهم ومعهم.

يـــوم الامتحان النهائي لكل مادة، كانت المجموعتان تجمعان معاً، فكان يوم أتحضر له لأني سألتقي يارا.

كـــنت أنتظـــر داخل مركبتي في مواقف السيارات إلى أن تدخل بمركبتها الشبابية الفارهة فأدخل خلفها وأقف بمحاذاتها.

تـــستغرق وقتاً في النظر إلى المرآة المعلقة أمام السائق، تمر بأصبعها على حاجبيها ثم تبعد غرتها عن عينها، تأخذ حقيبتها وتترجل، أعرف أنها رأتني ولكنها تتجاهلني تماماً.

أنـــزل بعدها بدقائق وبمفتاحي أحفر خطاً غائراً جهة السائق علـــى باب مركبتها، أتلفت لأضمن أن لا أحد رآني وأمضي بمنتهى الفرح.

المـــادة التي تلي التسويق كانت محاسبة، يا لفرحتي إنه تخصصي، أبلغت الجميع بأنني معلمة محاسبة ويسعدني تقديم دروس تقوية في بيتي، قلـــت لإيمان إدعي أختك فاطمة ولتحضر معها من تشاء من المجموعة الأخرى.

بعـــد التجمع الأول الذي نظمته في بيتي وشرحت للطالبات كل مبادئ المحاسبة وصورت لهم حلولا لتمارين الكتاب مع توفيري للشاي والقهوة والمعجنات ذاع صيت دروسي فتضاعف العدد والأهم حضور طالبات عديدات من المجموعة الأخرى.

بعـــد الـــدرس، جلسنا نشرب الشاي ونأكل، فسألتهن عن حياتهن.

أسأل واحدة: هل أنتِ متزوجة؟ أسأل أخرى: كم طفلاً لديكِ؟ أســأل ثالــثة: أيــن تعملــين؟ أسأل رابعة: لماذا اخترتِ أن تدرسي الماجستير؟ لأمهد لسرد قصة حياتي.

بعد أن سمعت منهن قلت:

- أنا مطلقة لي بنتان هما حياتي كلها، كنت أحيا بحب ووئام مع زوجــي السابق إلى أن خطفته مني بنت حرام كانت تلاحقه بطــريقة مبــتذلة و لم تكتف بذلك فحين سمعت أنني أدرس ماجستير سجلت هي كذلك، الله يهديها ويسامحها.

القصة لم تكن جديدة على إيمان لأنني قصصتها عليها فقالت:

- من هي؟ نريد أن نعرفها لنتجنبها.

- يارا النايف، ألقيت قنبلتي.

أجابت بنت بالعشرينيّات اسمها دلال:

- مــا أعرفه أنك متزوجة حالياً من آدم البلال وهو لديه زوجة أخرى فالأحرى بك أن لا تتكلمي عن يارا بهذا السوء. قامت وقالت:

- شكراً على الدرس.

خرجت وتبعها ثلاث بنات، ريم ولولوة ومعالي.

فاطمة أخت إيمان سألتني أكثر:

- يارا تقول أن عندها ولداً، متى تطلقتِ؟

- منذ سبع سنوات؟

- يــاه، أنا مطلقة منذ سنتين ولقد نسيت أمر طليقي، أنصحك نصيحة من أخت أن لا تفكري لا في يارا ولا في طليقك "الله يهــني عتريس بفؤادة" ولولا أنهما بنفس السوء لما اجتمعا من الأساس.

حـــين خرجت الزميلات وانفردت بنفسي تساءلت: هل نجحت في تشويه صورة يارا اليوم؟ أتمنى ذلك.

انتـــشر الكـــلام في أرجاء الكلية وساهم بانتشاره البنات وبعض الـــشباب الـــناعم تحديداً من فئة عبادي قريبـــي، نقلت لي إيمان عن فاطمة أختها بأن يارا بدت على غير طبيعتها هذه الأيام.

عمقت علاقتي بالأختين، دعوتهما على غداء في أحد المطاعم ومع الدردشـــة عرفت من فاطمة التي حرصت على تعميق علاقتها بيارا أن يـــارا قليلة الكلام وان كل ما استطاعت أن تعرفه منها هو عدد أبنائها ومكان عملها السابق والمنطقة التي تسكن بها.

- هي متعالية على الأرجح، قلت.
- ولأنـــك شيعية تتجنبك مدعية التفتح لو كنتِ بنت فلان أو فلان لدعتك لبيتها، أضافت إيمان.
- أنا لم أدعها لبيتي، أجابت فاطمة.
- وحـــتى لـــو دعوتها فلن تلبـــي الدعوة، فهم لا يأكلون من أكلنا، استدركت إيمان.
- (وجعلـــناكم شـــعوباً وقـــبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) صدق الله العظيم رتلت الآية.
- اللـــهم صلي على محمد وعلى آل محمد، تبارك الله أنت امرأة كاملة أي رجل هذا الذي يطلقك ليتزوج تلك، علقت إيمان.
- إيمـــان، لا تظلمـــيها، فلقد رأيتها في السوق بصحبة صديقة شيعية، بنت الحلواجي، قالت فاطمة.

الإشاعات أكسبتني تعاطفاً بين الطالبات، كما أن دروس التقوية أعطـــتني شـــعبية واسعة أحسست براحة وانشراح وغدوت أمشي في الكلية مزهوة.

إلى أن لاحظــت تغــير نظرات الطالبات وهمامسهن من حولي، قـــررت أن أحـــضر مع المجموعة الأخرى وإذا بالهمسات واضحة حتى فاطمة السادة لم تسلم علي، ماذا حدث؟ بعثت برسالة نصية إلى إيمان:

(حـــضرت مع مجموعة أختك والوضع غريب كما أن فاطمة لم تسلم علي ماذا حدث؟)

جاءني الرد:

(حين تخرجين من المحاضرة كلميني وسأقول لك)

بعـــد الاستراحة لم أستطع أن أحتمل الوجوم، خاصة وأن يارا لم تحضر، خرجت من الكلية و لم أكمل المحاضرة، واتصلت بإيمان لأسالها.

قالت إيمان:

- يارا أوقفت قيدها ولن تكمل، فهي كما قالت للبنات لا تحب القـــيل والقال والماجستير بالنسبة لها فرصة للتعلم لا للتقهقر بالانـــزلاق إلى وحل تراشق الكلام والشائعات، كما رفضت رفضا قاطعا أن تتكلم عنك معللة بأنكِ أم بنات زوجها.

أردفت إيمان:

- طـــبعاً تمثيل، هذه بنت غير مريحة سبحان الله مجرد كونها غير محجبة يعني أن الله غضبان عليها، فالله يهدي من يشاء.

- لماذا فاطمة لم تسلم علي؟ سألت.

- هـــم يحملـــونك المسؤولية ويجدون أنك افتريت على يارا في وقـــت أنتِ قمت بما هو أسوا، فهي تزوجت زوجك بعد أن طلقـــك، فيما أنتِ تزوجتِ آدم وهو لديه زوجة حتى الآن، ولكن رأيي أنك إنسانة لم تطلبـــي منه أن يطلق زوجته كما فعلت يارا، قلبك أبيض لا شأن لك بهن! أختي غبية وانبهرت بيارا، أحمد الله أنها تركت الكلية، قالتها تسترضيني.

لم أنم تلـــك الليلة، أتقلب في فراشي متسائلة لماذا انسحبت؟ هل فعلاً بسبب الكلام؟ هل اعتبر انسحابها انتصاراً لي؟ هل الماجستير دونها أمر يعنيني؟ ماذا سأفعل مع الطالبات المتعاطفات معها؟ المشوار طويل، هل أنسحب أنا أيضاً؟ بماذا سأبرر انسحابـــي؟

19

حكيت لآدم في الليلة التالية التي زارني بها فكان رده:

- أكملي دربك في الماجستير ليشغلك بما هو مفيد، وهذه البنت أخرجيها من رأسك فالحرب معها خاسرة.
- ماذا تقصد؟
- بمتابعتي لمدونتها، هي ليست بنتاً تقليدية، أجدها مراوغة تحفظ الشعر وتتلاعب بالألفاظ بطريقة مريبة.
- سحرتك؟
- لا، أنــا عيني مليانة بك وبأم بلال فإنتما عيني اليمنى وعيني اليسرى، أنا أتابعها لنشاطاتها السياسية، وقد حدّثني بعض شـباب التنظـيم مـن المـدونين أنها تدعم شباب حملة (نبيها خمسة) بشكل مكثف وشاركت معهم منذ التجمع الأول.
- خمسة في عينها، لماذا تقرأ مدونتها؟
- نحـن نتابع ما يكتبه الشباب الليبراليون لأن نجاح حملة (نبيها خمـسة) يـشكل خطراً على الإخوان ما لم نركب الموجة في الــوقت المناسب، لذا فمخططنا أن نختطف الحملة منهم من خلال الاتحاد الوطني لطلبة الكويت فرع جامعة الكويت وهذا مــا يجعلــني مضطراً لقراءة ما تكتب يارا من ترهات، فلقد

توليت الآن لجنة الشباب في التنظيم، لذا فمسؤولياتي تحتم علي أن أتابعها وغيرها من منطلق إعرف عدوك.

- لماذا تصر على أن الحرب خاسرة، هل تراها أفضل مني؟
- لا بكل تأكيد، هي اختارت الدنيا الفانية، بينما أنت متقربة لله سبحانه واخترتِ الآخرة، كيف لها أن تكون أفضل؟ كبري عقلك.
- وما هي الخمسة التي (تبيها) الليبرالية العلمانية الكافرة؟
- نبيها خمسة، يقصدون بها الدوائر الانتخابية، يريدون تقليصها من خمسة وعشرين دائرة إلى خمس دوائر، مما سيقلب كل التوازنات والحسابات السياسية لجميع التيارات والسياسيين المستقلين والحكومة.
- من يحركهم؟
- المحير، أنهم مجموعة شباب مدونين لا نعرف من خلفهم، أول تجمع لهم كان في 5 مايو 2006، يعني منذ أسبوع.
- ما علاقة المتعوسة؟
- هي تحاول إضفاء صبغة رومانسية على هذا التحرك السياسي لتشجع الفتيات والنساء على المشاركة، البنت بقمة الخبث وقد يكون هناك من يكتب بالنيابة عنها، لذا فنحن نراقبها عن كثب.
- لتذهب إلى الجحيم الرومانسية سارقة الرجال؟
- سارقة الرجال لقب تطلقه أم بلال عليك، قالها بفجاجة.

فتحت كمبيوتري ودخلت إلى مدونتها لأقرأ ما قاله آدم

6 مايو 2006

نهر من اللون البرتقالي

يقف على ضفافه غرباء

بأرواح صديقة

ينشر اللون البرتقالي

أريج انتماء

أستنشقه وأدخل

في سحابة من أمان

هـل يـراقب تنظيم الإخوان بجلال قدره كلاماً بهذه التفاهة، لا ينقصها إلا أن تغني لهم أغنية يا البرتقالة العراقية؟

لا ألمـح لا رومانـسية ولا شـعراً في هذا الكلام، والمصيبة في التعليقات: إبداع، أبدعتِ، مبدعة، هل تدفع لهم أم ماذا؟

16 مايو 2006

الجراد

يغزو الجموع

يندس

بين براكين الياسمين

يجتاحهم

يحاول السطو

على عطرهم

وهل يُسرق الشذى؟

يأتي الجراد

متأخراً كالعادة

يأكل الأخضر واليابس

أما البرتقالي

فغير قابل للأكل

HARD LUCK

أيها الجراد

اتصلت بآدم:

- هــل شــارك الاتحاد الوطني لطلبة الكويت بتجمعات نبيها خمسة؟
- نعم شاركوا البارحة، لماذا؟
- لأن بنت إبليس وصفتهم بالجراد، وعليه يجب أن ترفعوا عليها قضية وتسجنوها؟
- نــسجنها مــرة واحدة، أتصور أنك تتمنين أن تدفعي لقاتل مأجور ليخلصك منها أليس كذلك؟
- يا ليت، أجبت بعفوية.
- سلوى؟
- نعم.
- لماذا لا تحملين لضرتك أم بلال ما تحملينه ليارا؟
- لأن أم بــلال امرأة صالحة ملتزمة، بينما هذه الليبرالية الكافرة تــستحق الكره، ألم تر ماذا قالت عن الشباب الملتزم وكيف وصــفتهم؟ هذه تحمل حقد على كل ما هو إسلامي، وأظنها تزوجت فارس لتغويه وتبعده عن ربه.
- فارس! فارس! هل لا زلتِ تحنين إليه؟
- لا طبعاً، متى ستبيت عندي؟
- لا أدري، لدي ارتباطات، أظن بعد أسبوع.

هــذه طــريقته في التعبير عن استيائه، يعزف عن الحضور بكل بساطة ويقضي وقته مع زوجته وأولاده.

لن أترك تلك الملعونة تستعرض اهتماماتها السياسية، سألحق بها.

اتصلت بنهى رفيق الله:

- السلام عليكم نهى كيف الحال؟

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، الحمد لله، كيف حالك أنتِ والبنات وأبو بلال؟

- كلنا بخير، أردت أن أسألك، هل ستشاركين في فعاليات نبيها خمسة؟ حيث سمعت أن شباب الاتحاد الوطني لطلبة الكويت طرف، كما سمعت أن النائب ناصر الصانع سيتحدث.

- حالياً مشاركة التنظيم من خلال الاتحاد، ولا أظن أن الناشطات في الحركة طُلب منهن الحضور فالوضع لا يزال غائماً حسب ما شرح لي أبو مصعب، ما هذا الاهتمام بنا فجأة؟ هل هذه بركات أبي بلال؟

- نعم هي كذلك؟

- يقول أهل الكويت: الردة مودة.

- لا أظن حصة وضياء يحملن نفس الرأي.

- إن بعض الظن إثم.

- بعضه وليس كله.

أريد أن أحضر، ولكن كيف؟ قلت لنفسي!

اتصلت بإحدى الصديقات، أسماء المطفوق.

طلبت منها أن تذهب معي لنشبع فضولنا عما يحدث، فالجميع يتكلم عن الحملة، حتى في جامعتي، شباب وبنات متحمسين لنرى بأنفسنا قلت لها.. فوافقت، أين نلتقي سألت.

- الساحة المقابلة لمجلس الامة جهة البحر، أجبت.

التقيت بأسماء، وسرنا سوياً إلى الساحة، شباب وشابات بتي شيرتات باللون البرتقالي مطبوع عليها عبارة: نبيها خمسة باللون الأبيض، أعلام الكويت في كل مكان، كراسي مصفوفة ومنبر مجهز بالميكرفونات والسماعات بينما أغاني سناء الخراز(*) الوطنية تصدح في المكان:

كلما زادت المحن
حولها أو قسى الزمن
أصبح الناس كلهم
كلمة في فم الوطن.

- أين الأناشيد؟ سألت أسماء.
- يبدو أن التنظيم ليس لشبابنا.

اخترنا السطر الثاني وجلسنا، لاحقتنا الأنظار فحجابنا الأبيض يشي بأننا من الإخوان المسلمين إلا أن سننا أكبر من طلبة الاتحاد، كان الحضور النسائي كله من الفريق الآخر والحضور الشبابي أيضاً ما عدا حوالي عشرين شاباً يضعون شارات تحمل شعار الاتحاد، جاء ولد ناحيتي وإذا به مصعب ابن نهى.

- السلام عليكم خالتي.
- عليكم السلام، كيف حالك؟ الله يعطيكم العافية.
- خالتي، أتمنى أن تغيري مكانك، فقد تحدث مشادات بيننا وبين الشباب الليبرالي قد تصل للتشابك بالأيدي إن لم يتيحوا لنا المشاركة في الخطابات، كوني في الأسطر الأخيرة أسلم.

قمنا أنا وأسماء، وحين توجهنا إلى الأسطر الخلفية وإذا بي وجهاً لوجه أمام فارس ويارا ونايف ابنهما في عربة أطفال.

(*) سناء الخراز مطربة كويتية تغني فقط للوطن.

التقت عيناي بفارس، كنت على بعد متر ونصف منه، رأيته أصغر سناً ببشرة لامعة وعينين صافيتين، بحثت عن معنى لنظرته فلم أجد غير استغراب وجودي.

نظرت إلى يارا، وإذا بها تلبس التي شيرت ذاتها التي يلبسها الشباب والبنات وابتسامة استهزاء تعلو وجهها وشيء من التحدي في نظرتها.

جلسنا أنا وأسماء، تسارعت دقات قلبي وشعرت بالدم يتدفق إلى رأسي بطريقة أسمع فيها نبضاتي في أذني وكأنها قرع طبول.

بعد دقيقتين بعثت برسالة هاتفية إلى آدم:

(أين أنت؟)

جاءني الرد:

(في الطريق إلى تجمع نبيها خمسة)

اتصلت به:

- آلو آدم أنا هناك في الأسطر الخلفية، أرجوك، أريد أن أكون معك، فارس وزوجته اللعينة هنا، لا أريد أن أكون لوحدي أرجوك.
- سلوى! لست لعبة تستعرضينها أمام طليقك، أنا هنا لأقوم بواجبي تجاه الجماعة ولدي مستقبل سياسي لن أضحي به، أتركي المكان حالاً.
- لن أفعل.
- إذن سيكون الحساب عسيراً.
- تهددني؟
- نعم.
- حسناً.

أسماء سمعت الحوار كله وقالت لي:

- اهدئي يا سلوى، فهمت ما كان يرمي إليه بو بلال وهو محق، يجب أن تكوني له عوناً لا أن تثقلي كاهله بأعباء إضافية.

بدل أن أنفجر باكية ارتديت ابتسامة مرتجفة شديدة الصفرة، حتى أثناء الخطب المجلجلة التي تهدد وتتوعد الحكومة.

أدعو الله أن يلطف بــي وتنتهي هذه الليلة على خير.

التفتت إليّ أسماء وقالت:

- لماذا تبتسمين وكأنك تهزئين بناصر الصانع نائبنا؟
- هل تكلم؟
- ها هو يهتف.. No No Jungle Law
- ماذا يقصد؟
- لا أدري، ربما يريد أن يخاطب الشباب بلغة عصرية.
- أكاد لا اصدق.
- كفي عن التبسم.
- حسناً، قلت على مضض.

نـــزعت ابتسامتي فشعرت بالارتباك وكأني أنـــزع نظارة شمسية ســـوداء أخبئ ألمي خلفها، في نهاية المهرجان الخطابـــي ذهبت باتجاه ســـيارتي وإذا بها تسرع الخطى لتكون بمحاذاتي فيما فارس يدفع العربة التي يستلقي بها ابنهما.

تقـــول هـــي بصوت عالٍ: يا شين السرج على البقرا فيما هو يهمهـــم ولا أسمعـــه يمـــر بجانبـــي وكأننا لم نقض السنوات معاً يمر كغـــريب، زوجي كان ذلك الرجل لسنوات، تشاركت معه السرير، حملـــت منه مرتين وأنجبت بنتين وها هو يمر وكأنني لا أحد، هل كنت بالنسبة له أحداً؟

زوجي الحالي يهددني أن لا أقترب منه، لأنه يبني لنفسه مستقبلا ووجودي قد يعرقله.

صباح اليوم التالي اتصلت بي نهاد:

- أيتها الناشطة السياسية، لك صورة في الصحف تبدين كما لو أن الدم سحب من وجهك، ولقد عرفت السبب، فهناك صورة أخرى ليارا مع بعلها وطفل، هل كنتِ تعرفين أنها هناك؟ فإن كان هذا الحال، فحالتك صعبة.
- ما لي وتلك السيئة الذكر؟ أنا هناك مع أسماء المطفوق.
- أنتِ تركتهم منذ زمن.
- لا، أنا زوجة رجل مهم في الحركة.
- زوجة نصف دوام.
- زوجة رغم أنفك وأنف من يعترض.

في الغداء الأسبوعي العائلي لم يحضر آدم، استفتح السخرية مؤيد:

- يقال والعهدة على الراوي أن فارس بمجرد أن رآك ترك زوجته الحسناء وابنه الصغير وجثا على ركبتيه قائلاً أمام الجموع البرتقالية سامحيني.

ردت سناء:

- أريد سبباً واحداً يبرر وجودك في هذا المكان؟ الصحف نشرت صوراً لشباب وبنات من سن متقارب وتوجه منفتح ويارا معهم لماذا ذهبتِ؟ ماذا يدور في رأسك؟
- وجودها لا يعني عدم مشاركتي، أنا شاركت لدعم شباب الإخوان من الاتحاد الوطني لطلبة جامعة الكويت.

نهاد:

- أنتِ تركتِ الإخوان.
- لا، لم أفعل.
- اكذبـــــي على الجميع ولا تحاولي الكذب علينا، قالت نهاد بحدة.
- لست مضطرة للكذب.
تدخل عارف:
- خــذيها نــصيحة مــن أخ، لن تستطيعي المضي بحياتك إن أصررت وظللت على ملاحقة تلك البنت.
- أنا ألاحقها!! أنت واهم.
- الـــيوغا ثم الماجستير ثم البارحة، هذا ما نعرفه والله أعلم عما خفي، ردت سناء.
- من قال لكم عن اليوغا؟ كانت صدفة.
حسمت أمي الأمر:
- بـــناتك قلن لخالاتهن وحين سألتهن لم ينكرن أنهن نقلن لك الخبر والتحقتِ باليوغا ثم الماجستير، أنا وأخواتك وأزواجهن الذين هم في حسبة أخوة لك قلقون عليكِ، اتركيها حسبـــي الله ونعم الوكيل.
- أين آدم؟ سأل مؤيد
- مشغول، رددت.
تذكـــرت تهديده لي، يا ترى كم سيطول غيابه؟ ومتى سيزورني؟ أيـــن هـــو الآن؟ هل هو مع زوجته أم بلال وأولاده؟ ماذا لو قرر أن يتركني ويدفع لي مؤخر الصداق؟ سأكون قد طلقت للمرة الثالثة.
وأنا في غمرة مخاوفي، رن هاتفي النقال.
- آلو.

- السلام عليكم أم ضيّ، جاءني صوت رجل.
- عليكم السلام.
- معك صباح الموالي هل تذكرينني؟ كنت معك في الجامعة قبل سنوات أصبحت بعيدة.
- نعم.. خير؟
- أنا بصدد تأسيس جمعية، اسمها جمعية النزاهة، تعنى بمراقبة الفساد الذي استشرى في المؤسسات الحكومية وبما أنك تعملين في مجال المحاسبة في جهة رقابية مهمة أظن أن انضمامك لنا مهم.
- موافقة، قلتها بسرعة، كيف حال وئام زوجتك.
- بخير، أنا اليوم كحال آدم، لي زوجتان، تنوع الفاكهة عن نعم الله سبحانه وتعالى علينا.
- سلم على زوجتك وئام فقط، قلتها ضاحكة واتفقنا على أن نلتقي بعد يومين.

ما أن يذكر اسم صباح الموالي حتى تعود للذاكرة قصة الحب التي جمعت بينه وبين وئام المحيجري في أروقة الجامعة.

وئام تنتمي لأسرة ترى نفسها أرفع نسباً وفق التصنيف الاجتماعي البغيض في الكويت، أما عائلة الموالي فهي من أصول فارسية، وحسب ما تناقلته الشائعات فإن أباه يتحدث العربية بلكنة فارسية ولقد قامت الدنيا و لم تقعد حين أصرت وئام على الزواج منه.

أذكر استياء حصة وضياء العنصريات والتعليق الجاهز:

- حلاة الثوب رقعته منه وفيه.
- الثوب حين يخرق تبديله واجب، قلت لهم في حينها.

تـــزوج علـــيها! بعد كل هذه التضحية وقطيعة الأهل والمعاناة، ويقولها وكأن الموضوع طبيعي. تذكرت آدم فاتصلت به ولم يرد، هل سيعود آدم لزوجته؟ وصباح لوئام؟

لماذا تعاطفت مع وئام ولم أتعاطف مع زوجة آدم؟

لا يهـــم، ما يهم الآن أنني إنسانة ذات قيمة، اتصل بـــي صباح وطلب مني أن أشارك معه في تأسيس جمعية.

التقيـــنا مرات عدة في مقاه متناثرة، ستاربكس وكاريبو وغيرها وفهمـــت الفكـــرة أكثر، سأستخدم معلوماتي التي يوفرها لي عملي في الضغط من خلال الجمعية على الجهات الحكومية والتلويح باستخدامها، لخدمة الجماعة وتلبية مطالبها، نمدح هذه الجهة إن وظفت لنا من نريد ونذم تلك.

سألت صباح:

- هل تتم إدانتي على تسريب المعلومات؟
- أنتِ لن تسربـــي أي شيء، وجودك سيوهمهم بأن بإمكانك التـــسريب وكون كافة الجهات الحكومية تزخر بالتجاوزات، فسيرضخون، لا تخافي، لن أسمح لكائن من كان أن يؤذيك.

تـــسارعت دقـــات قلبـــــي وشعرت بانجذاب لصباح، في هذه اللحظـــة وددت لو ألقيت نفسي بين يديه وأشبعت ذلك الذئب الذي يعـــوي في خلايـــاي، يرمى له آدم قليلاً من الطعام ليعود لتجويعه من جديد.

بدخـــول صباح في حياتي، أضحى اهتمامي بآدم أقل، وهو أيضا ارتاح من ملاحقاتي وشعر بأنني تفهمت وضعه كرب أسرة.

أبدأ يومي بمهاتفة صباح أو بإرسال رسالة قصيرة له:

(صباح الأمل)

فيرد:

(صباحكِ أنتِ يا سلوى)

يهاتفني حين تخرج وئام للعمل، فيما هو قد تقاعد من عمله وتفرغ لهذه الجمعية، نبدأ حديثنا عن الجمعية والإجراءات والاتصالات ثم يعرج بنا الحديث إلى كل مكان آخر.

تجرأ يوماً وقال لي:

- أظنك يا سلوى لم تجدي الرجل الذي يستحقك بعد، واعذريني على هذا الكلام ولكن لا فارس يستحقك ولا آدم، فارس رجل صعب المراس، أما آدم فهو وصولي لا أستبعد أن يطلب منك أموالاً ويبتزك، أنت بحاجة لشخص يفهمك ويقدرك.

- مثلك، أجبت دون تفكير.

فرد بضحكة.

- هل أكون الثالثة؟

رد:

- لا، أتصور مكانك الأولى يا سلوى.

- حدثني عن زوجتك الثانية؟

- ريما، عملت كسكرتيرة لي، وهي امرأة جذابة وبسبب طول تواجدنا معاً خلال ساعات الدوام واعتنائها بي وبأموري، انجذبت لها خاصة مع مرور السنوات على زواجي من وئام وانطفاء جذوة الحب، وئام شاخت سريعاً واهتمامها بعملها بالإضافة إلى مسؤوليات الأولاد لم يترك لي حيزاً.

- لهذه الدرجة أهملتك وئام؟

- نعـــم، أهملـــتني تمامـــاً ولم تعد تلبـــي رغباتي بداعي التعب والمشاغل، فكان أن حصنت نفسي بالزواج من ريما.
- كيف كانت ردة فعل وئام؟
- تعاملـــت بعقلانـــية وهدوء أكدا لي أنها لم تعد تحبني وأن ما يجمعنا هو الأولاد.
- ماذا عن ريما هل تحبك؟
- ريمـــا تحـــب ما قدمته لها، فلقد رفعت من مستواها المعيشي ولبيّت لها طلبات مادية لطالما حلمت بها.
- ماذا عنك، ماذا حصل مع فارس؟
- سرقته بنت ليبرالية؟
- أنا وأنتِ نعرف أن هذا غير منطقي ماذا حدث قبل ذلك؟
- مـــوت والـــدة فارس، تركه للحركة والغزو أبعداه عني وربما لأنـــني لم أنجب له صبياً أو لأن أخته مضاوي لا تطيقني أو لا أدري.
- هل أحببتِ فارس؟
- أظنني أحببته.
- هل أحبك؟
- أظنه أحبني.
- ماذا عن آدم؟
- آدم أنقـــذني مـــن اكتئابـــي ليرميني في اكتئاب آخر بعد أن طلقني للمرة الأولى ثم أنقذني مجدداً.
- يحبك؟
- لا أظن.
- تحبينه؟

- لا أدري.

صباح يسمعني، كم أنا بحاجة لرجل يسمعني، يسألني ليحثني على البوح، صباحاتي أجمل مع صباح، أيامي أسعد معه يشعرني بأهميتي ويعاملني بلطف، العمل معه أكثر وجاهة من عملي في جمعية المطلقات التي أهملتها شيئاً فشيئاً.

بات صباح زائر أحلامي، أحلم به يأخذني إلى جزيرة نائية، ارتدى مايوه بيكيني أزرق، جسمي خال من الشعر وساقاي تلمعان تحت أشعة الشمس الدافئة، أسبح معه في المياه الصافية، يحملني بين ذراعيه ويقبلني فيختلط طعم قبلته بطعم مياه البحر المالحة أنتشي وأصحو من نومي مقبلة على الحياة.

سألتني ضي:

- أمي، هل ستتزوجين صباح الموالي؟
- لا، لماذا تسألين هذا السؤال؟
- لأنك تبدئين بتأسيس جمعية ثم تنتهين بزواج من الشخص الذي أسست معه الجمعية؟

تدخلت مي:

- أرجوكِ يا أمي لا تفعلي، فالبنات في المدرسة قلن لي بأن أمك مثل صباح تتزوج وتطلق وكل يوم نراها مع رجل في ستاربكس.
- قولي للبنات ليذهبن للجحيم.

20

أبــــدا نهاري بعد مهاتفة صباح بزيارة مدونة يارا التي كتبت ذلك الصباح..

ولو حارب الدهر النساء وكدنه
لأصبح مغلوباً أسير عقاص
ابن الرومي

حين أفكر في هذا البيت، أظن الشاعر يقصد النساء مكتملات الأنوثة اللائي يخلطن الغنج بالذكاء والدلال بالدهاء والرقة بالحزم

لمــــاذا تــــصر هــــذه اللئيمة على الحديث عن الأنوثة بهذا الشكل الاســـتفزازي؟ هي تقصدني حتماً وربما تغار مني، دخلت باسمي عاشقة الحرية وكتبت:

الأنوثة في رأيك أنوثة الراقصات أمثال فيفي عبده؟ ☺ مع أيقونة ابتسامة.

بعد أن تجاهلت تعليقي ليومين جاءني ردها:

لا، مـــا وصفتِ أطلق عليه أنا الابتذال، المقصود هو الأنوثة على طــــريقة إيزابيل الليندي، أحلام مستغانمي، لميعة عباس عمارة وسعدية مفرح نساء رائعات تعلمت منهن الكثير.

لم أعرف أيا من الأسماء التي ذكرتها!

سألت ضي:

- ما أخبار زوجة أبيكِ؟

- كم تدفعين؟

- ولا فلس؟

- إذن ولا خبر.

- سأجبرك على الحجاب.

- سأقول لعمي آدم عن صباح.

- ماذا ستقولين له؟

- المكالمات والرسائل النصية و...

صفعتها، وضعت يدها مكان الصفعة ونظرت إلي بغضب وقالت:

- هي تأخذ دروساً في الرقص الهندي في معهد شيريدورا، ألحقيها واجعلي من نفسك أضحوكة، قالت وذهبت إلى غرفتها.

لم ألحق بضيّ و لم أحاول إرضاءها، فلقد استحقت الصفعة.

رفعت الهاتف واتصلت بالاستعلامات:

- آلو، استعلامات الهواتف تفضل.

- أريد رقم معهد شيريدورا.

- أي منطقة؟

- لا أعرف.

- سجلي عندك 222342.

اتصلت وسجلت في أقرب موعد، في الغد الساعة الخامسة، ماذا عن اجتماعي بصباح؟ سأؤجله.

بعثت برسالة نصية:

(طرأت تغييرات في ظروفي أتمنى تغيير موعد الإجتماع إلى الساعة السابعة)

(حسناً) جاءني رده سريعا.

دخلت المعهد قبل الوقت بربع ساعة لأنني أردت أن أكون موجودة قبلها، الديكور هندي وروائح البخور تملأ المكان في الغرفة المخصصة للتدريب، المرايا تزين ثلاثة جدران والجدار الرابع مطلي باللون الأحمر القاني مع رسومات لفيلة وفتيات هنديات يرقصن.

توافدت المتدربات، كلهن شابات يرتدين بنجابي هندي ويضعن وشاحاً على أكتافهن.

حضرت المسعدة ترتدي بنجابي باللون الزهري والبنفسجي مع وشاح بالقماش نفسه موشي بالخرز. شعرها مجدول وتضع ورد الياسمين علي شعرها كالهنديات.

بينما أنا أرتدي شورت أسود وتي شيرت بيضاء وحذاء رياضياً، رمقتني بنظرة من رأسي لأخمص قدمي وقالت بصوت مسموع: الحمد لله والشكر.

تعالت الموسيقي الهندية وإذا بالمتدربات يتقافزن مع المدربة بتناغم وانسجام وكأنني أشهد فيلم لأميتاب باتشان.

يضربن الأرض برجل واحدة ويتلاعبن بنظراقمن يميناً ثم يساراً مع تحريك العنق وهن متجهات لليمين إلى أقصى القاعة ثم لليسار إلى أقصى القاعة يهززن خصورهن من جانب واحد ويدرن حول أنفسهن والأوشحة تدور معهن بينما أنا لا أتمالك نفسي من الضحك.

صرخت بي المدربة بعد أن أوقفت الموسيقى:

- كفى.

عندها قالت يارا:

- لا أظن أن الفن مضحك، يبدو أن السيدة في المكان الخطأ.

هزت المتدربات رؤوسهن موافقات.

- هل تريدين إكمال الدرس سيدتي، سألتني المدربة؟

- نعـــم! لمـــاذا تكلميـــني بهذه الطريقة؟ ما اسمك؟سأقدم فيكِ شكوى.

- اسمـــي ســـاريتا وبإمكانك تقديم الشكوى، مكتب الإدارة في آخر الممر، أرجوكِ دعينا نكمل الدرس.

خـــرجت مـــن الصف وقدمت شكوى انتهت بإرجاع مبلغ 12 ديناراً لي ثمن الحصة.

هذه الـــ يارا مجنونة، لا أظن أن عقلها سليم، تمارس اليوغا حيث لك حركة ووضعية اسم حيوان وتتنفس من منخر ثم منخر آخر والآن ترتدي البنجابـــي وترقص رقصا هندياً، ما الذي أعجب فارس في هذه المخلوقة غريبة الأطوار؟

يارا تمارس هواياتها الغبية وتحرص عليها فيما أنا تخليت عن شغفي بركوب الخيل، تلك الهواية التي لا يمارسها إلا علية القوم، هواية مكلفة لا تليق إلا بالأثرياء.

هل أعود للخيل؟ ولكن يارا لا تركب الخيل! لباس الخيل هو زي النبلاء وليست ملابس الحفلات التنكرية التي تلبسها تلك الحمقاء، هل تخرج من البيت مرتدية لباسها لدرس الرقص؟ ماذا يقول لها فارس؟

كي ساهي(*)، فترد عليه أتشا هي(**)

(*) كي ساهي: كيف حالك.

(**) أتشاهي: بخير.

غيرت ملابسي وذهبت للقاء صباح وأنا في قمة الانشراح.

- تبدين سعيدة، علق حين رآني.

- نعم، لأنني معك.

ابتسم والتفت حوله ليتأكد من أن لا أحد سمعني.

هو يحضر معه أوراقاً لا داعي لها، ويفتح حاسوبه الشخصي ليوحي لجمهور المقهى بأننا نعمل وهذه الخدع لم تمنع الوشاة من إيصال المعلومة لوئام.

في تلك الليلة جاءني اتصالان أقلقا منامي، الأول من وئام:

- السلام عليكم سلوى، معك وئام المحيجري.

- عليكم السلام، أهلاً أهلاً وئام كيف الحال؟ هل أبلغك صباح السلام؟

- نعم، كان يبلغني، أما الآن فالناس تنقل لي لقاءاتكما شبه اليومية في المقاهي.

ساد صمت طويل قطعته وئام بسؤال:

- ماذا تريدين من صباح؟

- لا شيء، نحن نعمل في جمعية النزاهة كما تعلمين.

- الجمعية الأولى التي أسستها للمطلقات انتهت بزواجك من آدم ولم نعد نسمع لها أي ذكر، فهل هذه طريقتك بالإيقاع بالرجال؟

- وئام، أنا لا أسمح لك بأن تحدثيني بهذا الأسلوب؟

- وأنا لن أسمح لك بان تأخذي زوجي مهما كلف الأمر، وأغلقت الخط.

ذهلت مما حصل، وفيما أنا أفكر ماذا علي أن أفعل، اتصلت أمي وإذا بصوتها يرتجف:

- سلوى، اتصل بـــي فارس اليوم؟

خفق قلبـــي، فآخر مرة هاتف فيها أمي كانت حين عزاها بوفاة والدي.

- ماذا يريد قلت؟
- يشتكي من سلوكك.
- لا شأن له بـــي.
- يقـــول أنـــك أم بناته وأن عليكِ أن تراعي تصرفاتك فبناتك غدون مراهقات ولا قدوة نسائية لهن سواكِ، وأبلغني أنه تلقى رسالة نصية على جواله مفادها أنك تزوجتِ للمرة الرابعة من صباح الموالي.
- يغار عليّ فارس، قلتها بفرح.
- لا، ختم المكالمة بأنك تزعجين زوجته بملاحقتها.
- أنـــا ألاحق زوجته! ما لي وزوجته، هو لم يتصل ليتكلم عن علاقـــتي بصباح هو اتصل فقط ليبدي انـــزعاج زوجته من رؤيتي لأنها تغار مني، أنا لم أدخل بيتها، والأماكن العامة التي أراها بها ليست ملكا لها.
- فـــارس يقول بأنك حرّضت خادمته وكنت تدفعين لها مقابل معلومات.
- غير صحيح.
- سلوى، أنا والدتك وأنت غير مضطرة للكذب معي، لقد رأينا معك صور فساتين سهرة ليارا التقطتها لك تلك الخادمة.
- نعم، لمجرد التسلية ولأظهر لكم تفاهتها.
- كمـــا أنـــه ذكر لي أنك تقومين بإيصال بناتك إلى بيت أخته وتنتظرين بالساعات عند الباب إذا كانت يارا موجودة.

- قد أكون أوصلت بناتي، ما المشكلة؟
- ذكر الماجستير واليوغا وأخيراً درس الرقص الهندي.
- ماذا رددت عليه؟

- دافعت عنك طبعاً وقلت له أن سلوى تعيش حياة سعيدة مع زوجها وأنت وزوجتك آخر همها، أما عن نشاطاتها فلا شأن لـــك بها وإن كنت تخشى على بناتك تفضل وخذ حضانتهن أبركها من ساعة.
- ليته يأخذ البنات ويخلصني من همهن.

لم أنم طـــوال الليل، أنتظر شروق الشمس لأتصل بصباح وأخبره عمـــا دار مع زوجته كما أن اتصال فارس شغلني، هو لم يتصل بأمي منذ طلاقنا إلا مرة واحدة حين توفي أبـــي والبارحة، هل تراه حنّ إلينا حين سمع صوت أمي؟ هل تصرفاتي تهمه؟

اتـــصلت بـــصباح وإذا بجهازه مغلق، لم أشعر برغبة في الذهاب للعمل، هاتفتهم وطلبت إجازة عرضية.

قضيت النهار مستلقية على سريري أحدق في سقف الغرفة.

عـــادت البنات من المدرسة، ضي لا تكلمني وتتجنبني تماماً بينما مي مقلـــة في الحديث معي وتدعي الانشغال بالدراسة، تناولتا الغداء وحدهما وظللت في سريري إلى ما بعد المغرب حين دخلت مي غرفتي لتقول.

- خالاتي عندنا ومعهن رجل غريب إلبسي حجابك.

ارتديت العباءة والحجاب وخرجت لهم بسرعة وكلي استغراب!!

سناء ونهاد تبدوان مضطربتين ومعهما شاب ثلاثيني ببدلة أفرنجية يضع على عينيه نظاره طبية وله شعر أسود كثيف.

مد يده ليصافحني قائلاً:

- أنا الدكتور مناف المؤذن.

نظرتُ لأخواتي ثم للشاب الذي معهن أبحث عن تفسير.

تنحنحت سناء وقالت:

- مــناف ابن خالد ابن عم والدتنا - ما شاء الله عليه - خريج دكتوراه في علم النفس من أميركا وهو هنا لمساعدتك.

- مساعدتي بماذا؟ أنا لا أحتاج مساعدة.

تدخلت نهاد:

- كلنا نحتاج مساعدة بين وقت وآخر يا سلوى، وما مررتِ به لم يكن أمرا سهلا.

وقفت وقلت لهم:

- أخطــأتم في العنوان، فرصة سعيدة دكتور نواف، ويا حبذا لو ساعدت أخواتي في حل مشاكلهن.

- اسمي مناف، قال مصححاً.

تــركتهم واتجهت إلى غرفتي وأنا أشعر بإذلال شديد، لماذا تهينني أخــواتي بهذا الشكل؟ طبيب نفسي ومن عائلة أمي أيضا؟ لماذا لا تعالج سناء نفسها عن خيانات زوجها؟ ونهاد لماذا لا يكون مرحها غطاء لألم داخلها؟ لماذا تركزان عليّ؟ هل لينسين مشاكلهن؟ تباً لهن من أخوات.

عــدت بالقرب من الصالة التي يجلسون فيها وقفت خلف الباب استرق السمع وإذا بالدكتور يقول:

- متوقع أن ترفض المساعدة، فهي غير مدركة أساساً أنها تلاحق هذه المرأة، هذا أمر شائع بين المصابين بهذا النوع من الاضطراب.

- ما الحل؟ سألت نهاد.

- المواجهة، وتكرار المواجهة هو الحل، يجب أن نواجهها بحضور أحــبائها بكل الحوادث التي تثبت ملاحقتها لتلك المرأة، من

كافـــة الحوادث التي ذكرتموها من اليوغا والماجستير والرقص الهـــندي فإني أجد أن حادثة الخادمة هي الأكثر وضوحا فمن أبـــرز ملامح المصابين بالهوس أو من نسميهم Stalkers هو تخليهم عن كرامتهم وإذلالهم لأنفسهم من أجل الحصول على معلومات عن الشخص محل هوسهم.

سادت لحظة صمت ثم سمعته يكمل:

- أحـــتاج لمعلومات أكثرعن طفولتها وصباها، وأتمنى من الخالة نورة أن تتعاون معي فهي رافضة للتشخيص، تلك المعلومات ستـــساعدني في تحديـــد سبب ملاحقتها لتلك المرأة فهي لا تلاحقهـــا فقـــط لأنها زوجة طليقها، الموضوع أكثر تعقيداً وتشابكاً من ذلك بمراحل.
- أمـــي تأثرت بطلاق سلوى ووفاة أبـــي زادت الوضع سوءاً، قالت نهاد.
- لا تـــنس يا دكتور بأن والدتي إمرأة مسنة وهي تنظر للطب النفـــسي بأنـــه طب للمجانين، لذا فمن الطبيعي أن ترفض التشخيص، أضافت سناء.
- إذاً ســـتكونان أنتما مصدر معلوماتي وأحب أن أنوّه أن مثل هـــذا الـــنوع من الهوس يصعب علاجه ويطول ويتطلب في الغالـــب تـــدخلاً دوائياً حتى لا يتطور إلى نوع من أنواع الفصام.

لم تقـــو رجلاي على حملي وهربت مسرعة إلى غرفتي، هل هذا الطبـــيب يعـــي ما يقول؟ أطباء النفس بحاجة لمن يعالجهم فهم ينظرون لكل الناس على أنهم مرضى! ماذا فعلت لأستحق كل هذا الهوان؟ هل يكـــون مرضاً أن أحاول معرفة ما الذي جذب طليقي لزوجته الحالية؟

هل حرام أن أفكر باسترجاعه؟ أهو مرض ان أحلم باستعادته لأعيش حياة طبيعية كغيري من البشر؟

سمعت صوت تشغيل محرك سيارة، ألقيت نظرة من النافذة وإذا بالطبيب يغادر، خرجت وطردت أخواتي من بيتي:

- أخرجن من بيتي، صرخت.
- سلوى، نحن أخواتك وأقرب الناس إليك وأحرصهن على مصلحتك، قالت سناء.
- أخرجن من بيتي حالاً.

اتصلت بأمي أشكو لها بناتها فردت بصوت متهدج:

- شرح لنا مناف حالتك باسم أجنبي لم أفهمه ولكن مؤيد ترجمه لي على أنه حالة هوس.
- هوس بعين مؤيد والذي خلف مؤيد، يا لفرحتي، فالموضوع لم يقتصر على أخواتي، بل تم إدخال أزواجهن وطبيب من العائلة، أنا أعقل منكن جميعاً.

هذا المساء بالذات اتصل بي آدم ليخبرني أنه في الطريق، فرحت، فلقد اشتقت لزيارته لي، فأمرت الخادمة بإعداد العشاء، استحممت وتعطرت ولبست قميص نوم جديد كان ينتظر في خزانتي، لمدة ثلاثة أسابيع لم يزرني خلالها آدم.

أشعلت الشموع وطلبت من البنات أن يتناولن عشاءهن مبكراً ويختفين في غرفهن.

- لا أريد أن أراكن حتى الصباح، قلت بحزم.

حضر فاحتضنته بشوق وبادرته سائلة:

- هل تريد أن تغير ملابسك قبل العشاء؟
- لا، أنا هنا لأكلمك بموضوع.

- خير، قلت وقلبي يخفق خوفاً من أن تكون وئام اتصلت به.
- تمت دعوتي لاجتماع في بيت أهلك، حضرته والدتك وأخواتك وأزواجهن وطبيب يسمى مناف المؤذن، شرح خلالها لنا بأنك تعاني من مرض كتب لي اسمه على قصاصة ورق وقال لي ابحث عنه في الانترنت.

أخرج آدم ورقة وأعطاني إياها

Obsessional Stalking

- قرأتها، ماذا يعني؟
- ما فهمته أنه هوس لا إرادي بملاحقة شخص معين دون التحدث إليه، ولقد حاول التدليل على سبب اعتقاده بإصابتك بالمرض بدلائل ووقائع بعضها أعرفه وبعضها أسمعه للمرة الأولى.
- هذا افتراء.
- لا يهمني، ما يهمني الآن هو أن لي مستقبلاً سياسياً ينتظرني ولن أسمح لهوسك بزوجة طليقك بتدميره وعليه أنا هنا لأتفاوض معك حول مؤخر الصداق، وبالمناسبة ما تفعلينه مُجرَّم في بعض الدول الغربية - إن كنتِ تريدين الرأي القانوني - لو كنت في أميركا لطُلب منك كتابة تعهد أن لا تقتربي منها بمسافة محددة قد تصل إلى مائتي متر.
- لن أتنازل عنه في حال تطليقي؟
- ولكن الشركة التي سجلتها باسمك وفق التوكيل الذي منحتيه لي عليها ديون تصل إلى حجم مؤخر الصداق مرتين وهي شركة أفراد ديونها عليكِ بالكامل.

- لم أفهم؟
- أسوي ديون الشركة أو بالأحرى أنقلها لاسم زوجتي الأولى في مقابل تنازلك عن مؤخر الصداق.
- نذالة.
- هل كنتِ تتخيلين فعلاً أنني وقعت في غرامك؟
- نعم، بكل أسف.
- وحتى صباح أظن له مآرب أخرى.
- ما شأن صباح؟
- هل تخيلتِ أنني غافل عما يجري بينكما؟ كنت أنتظر أن أجمع دلائل أكبر لأقاضيكما معاً.
- هل اتصلت بك وئام؟ هي تتخيل؟
- لا يا سلوى يا ذكية، أنا الذي أوصلت المعلومات لوئام بطريقتي الخاصة.
- لماذا؟
- لا يهم، المهم الآن هو أن تطلبي الخلع وتتنازلين عن كل شيء وإلا..
- إلا ماذا؟
- لدى بدائل إما إدخالك السجن بديون الشركة أو إدخالك مصحاً كوني زوجك.. سأرى أيهما يناسبني أكثر.
- حسناً سأطلب الخلع.
- وفوقهم مائتا ألف دينار في حسابك حالياً 213588 دينار بالضبط، 13588 تكفي الهلاهيل التي ترتدينها ونفقة بناتك من فارس تكفي المأكل والمشرب.

خرج آدم بعد أن أعطاني مهلة ليومين فقط.

هــــل فعـــلاً هذه نهاية قصتي مع آدم؟ تخيلت نهايات متنوعة كأن يطلقـــني مـــن أجل زوجته الأولى أو أن يتزوج زوجة ثالثة ولكن أن يقايضني بهذه الدرجة من الرخص!

كم أكره آدم وأكره نفسي وأكره الحظ العاثر الذي يسيء اختيار الرجال لي.

لم أنم ليلتي وظللت أتقلب في فراشي أفكر في ورطتي مع آدم وقبل أن يحـــين الفجر كنت قد قررت بأن ألبـــي طلب الخلع وأمنحه المبلغ وأمضي، ربما أتزوج صباح يوماً ما من يدري؟

يطلـــق زوجـــته الثانية ربما ونتشارك فيه أنا ووئام، أتصور أنني سأعيش الحياة كما يجب معه، هو الأقرب لي من كل رجالي فأنا أشعر بانسجام معه.

أما أهلي وموضوعهم السخيف فسأتعامل معه في وقت آخر.

أغمضت عيني وأنا شبه راضية عن قراراتي.

في الصباح فتحت الصحيفة وإذا بخبر: قائمتان تخوضان انتخابات مجلـــس إدارة جمعـــية النــــزاهة. الأولى، قائمة المؤسسين برئاسة صباح المـــوالي والثانية، قائمة الشرفاء برئاسة قماشة الخاثر، مررت على أسماء قائمة صباح وإذا باسمي ليس معهم.

كيف تجاهلني؟ بالتأكيد هناك خطأ من قبل محرر الخبر.

اتصلت بصباح وإذا بالرد:

الرقم المطلوب غير داخل في الخدمة...

هوس

رواية

جلستُ على أرض المكتب ووضعتُ رأسي بين ركبتيّ وبكيت كما لم أبك طوال سنواتي الخمسة والثلاثين، بكيت كل شيء، بكيت بيت أهلي الذي لم أشعر فيه يوماً بالراحة، بكيت فقدان الحنان، بكيت جسدي غير المؤنث بالدرجة الكافية، بكيت الشعر اللعين الذي يغطيني ويعيبني، بكيت ضعفي، بكيت كل الرجال الذين أساؤوا إليّ، بكيت عقاب، بكيت فارس الضيف الذي مرّ فقط ليشعرني بالنقص أكثر.

مسحتُ دموعي وقررت أن أطلب الطلاق.

- سلوي السوسي، بطلة رواية «هوس»

رانيا السعد

• روائية من الكويت

Twitter @walladah

www.walladah.blogspot.com

الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc.

www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

ISBN 978-614-01-0294-1